الصحافة.. السلطة.. الحب.. الذكريات

صلاح حافظ



رشاد كامل

مكتبة



اهداءات ٢٠٠٢

الآنسة/ منار مصطفى بدر

الاسكندرية

الإعداد الفنى

محمد مصطفى سعد

طه حسين

الصحافة، السلطان، الغضب
ذكريات صلاح حافظ

رشاد كامل

الغلاف بريشة الفنان
هبة عنايت

صلاح حافظ : الرجل والكتاب

بسبب الكاتب الكبير الأستاذ « صلاح حافظ » تأخر صدور ونشر هذه الذكريات سبع سنوات كاملة !

وبفضل الصديق الكبير « محمد مصطفى سعد » المدير العام لروز اليوسف ظهر الكتاب الآن !!

أما صاحب الفضل فى فكرة هذه الذكريات ثم نشرها مسلسلة على صفحات مجلة « صباح الخير » فهو الصديق والأستاذ الكبير « لويس جريس » رئيس تحرير « صباح الخير » السابق .

ويبقى للأصدقاء الثلاثة « دين » كبير فى عنقي ، أظن أننى سأظل عاجزاً عن الوفاء به .

كان ذلك في شتاء عام ١٩٨٤ ، وكانت الصحافة المصرية تعيش انفراجة ديمقراطية كبيرة ، وتتمتع الصحافة بحرية صحافة لم تحدث منذ سنوات !!

فى هذا الوقت كنت أجري حواراً صحفياً مع الكاتب السياسي الكبير « صلاح حافظ » ، وكان ظنى أن الحوار معه

لن يزيد على ساعتين ، فإذا بشرائط التسجيل تتجاوز العشرين شريطاً مدتها ٢٠ ساعة !!

ووجدتنى أمام كنز صحفى ومنجم ذكريات صحفية وسياسية عايشها وعاشها « صلاح حافظ » على مدى ٣٥ عاماً .

فمما لا يعرفه الكثيرون من قراء صلاح حافظ أنه لا توجد مجلة أو جريدة صدرت فى مصر قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ لم يعمل فيها صلاح حافظ ولو ليوم واحد سواء كانت مجلة يقرأها المئات أو حتى عشرات الألوف وذلك منذ كان طالباً فى كلية الطب عام ١٩٤٨ .

وفى عصر جمال عبد الناصر تولى صلاح حافظ « اليساري » رئاسة تحرير مجلة آخر ساعة « التى تصدر عن أخبار اليوم ، وفى عصر أنور السادات » تولى رئاسة تحرير « روز اليوسف » .

واقترب صلاح حافظ من عشرات الأسماء الصحفية والسياسية اللامعة طوال تلك السنوات ، وعن قرب شاهد ولمس ماكان يدور فى كواليس ودهاليز صاحبة الجلالة .

وتطرق الحوار الطويل مع صلاح حافظ إلى عشرات الأسرار والحكايات التى تكاد أن ترسم صورة صادقة ـ بالصوت والصورة ـ لملامح عصر بأكمله : صحافة الثورة ، أهل الثقة وأهل الخبرة . قرارات تنظيم الصحافة . . الرقابة . . و . . وحتى حادث المنصة ظهر السادس من أكتوبر ١٩٨١ .

وكان السؤال الذى يشغل بالى ويحيرني ـ لكنه لا يحير لويس جريس رئيس التحرير السابق ـ متى سينشر الحوار وما المناسبة لذلك ؟!

وفى أوائل مارس ١٩٨٤ كان الأستاذ الكبير « مفيد فوزي » قد اتفق مع الأستاذ لويس جريس على نشر حوارين مع مقاتل الصحافة المصرية الكاتب الكبير « موسى صبرى » بمناسبة بلوغه سن السّتين ، يروى فيه مشوار أربعين سنة صحافة ، ونشر الحوار الأول فى ٢٢ مارس (٦ صفحات) ثم نشر الحوار الثانى فى عدد ٢٩ مارس ، وكان عنوانه المثير واللافت للنظر هو « من قتل السادات ياموسى ؟! ».

وعبر ست صفحات أجاب موسى صبرى على سؤال مفيد فوزى . .

ولا أزال أذكر الابتسامة الآثرة للويس جريس وأبوته وأستاذيته بعد أن فرغ من قراءة حوار الأستاذ مفيد فوزى وهو يقول لى :

ـ الآن تذهب إلى الأستاذ صلاح حافظ وتطرح عليه سؤال عمك مفيد للأستاذ موسى : من قتل السادات ؟! وستكون الإجابة هى موضوع الحلقة الأولى فى ذكريات صلاح حافظ !!

ولم أكن أدرى الفخ أو الكمين الصحفي المثير الذى وضعنى فيه الأستاذ « لويس » إلا عندما قال لى الأستاذ صلاح حافظ : ياعزيزي . . يأتي صديقي الحميم جداً موسى صبرى يأتى فى مقدمة الذين قتلوا الرئيس السادات !

وابتداء من عدد ٥ أبريل ١٩٨٤ بدأ نشر ذكريات مايسترو الصحافة المصرية صلاح حافظ ، وحملت الحلقة الأولى عنواناً يقول : للسادات قتلة آخرون !

ورغم مرور سبع سنوات ، فلا تنسى ذاكرتى مكالمتان هاتفيتان من اسمين صحفيين كبيرين ، كانت الأولى من كاتبنا الكبير المفكر « أحمد بهاء الدين » والثانية من المقاتل الصحفى الكبير « موسى صبرى » وأسعدنى شهادة كل منهما فيما حوته الحلقة الأولى من آراء جديدة وجديرة بالنقاش من ذكريات صلاح حافظ .

وفى اليوم التالي لمكالمة الأستاذ « موسى » كان على مكتب لويس جريس رداً بليغاً من موسى صبرى على صلاح حافظ ، ونشر الرد المقال بكل الحفاوة والتقدير فى العدد التالى ، وكان عنوانه : « من موسى صبرى إلى صلاح حافظ : تذكر ولا تتنكر ! » .

ولا أستطيع أن أخفى سعادتى بنجاح الحلقات وقتها ، فقد لمست هذا فى ردود فعل القراء وتعليقات الزملاء . . أما قمة ما أسعدنى فهو اقتراح الأستاذ أحمد بهاء الدين » بإعداد هذه الذكريات فى كتاب مستقل !

وعندما نقلت اقتراح الأستاذ « بهاء » لعم صلاح - كما تعودت أن أناديه - قال بتواضع حقيقي غير مفتعل : إننى لم أقل مايستدعى حفظه فى كتاب !

وكلما سئلت أين مذكرات صلاح حافظ ، كنت أردد بغير اقتناع إجابة صلاح حافظ ، وكان عدم اقتناعي بحجة صلاح حافظ ينتقل بدوره إلى السائلين !

ومرت سنوات . . وابتداء من يناير ٨٩ كان قد صدر لى ثلاثة كتب أحاطها القراء والزملاء بتقديرهم وحبهم وهي على التوالي : لغز السادات (يناير ٨٩) وثورة يوليو والصحافة (إبريل ٨٩) وعبد الناصر الذى لا تعرفه (يوليو ٩٠) .

وعقب صدور كل كتاب من الكتب السابقة كان الصديق والأخ الأستاذ « محمد مصطفى سعد » المدير العام لمؤسسة روز اليوسف ممن أستريح لرأيهم وأستنير بمشورتهم فى هذه الكتب ، وكانت ملاحظاته الواعية مما لا يستطيع الإنسان أن يتجاهلها سواء أسعدته أو أغضبته !

وتحت جلد رجل الإدارة - الصديق محمد مصطفى - يختبيء فنان حالم وعقل أديب ، ربما لو تخفف قليلاً من عبء الأرقام وهموم الحسابات وأسعار الورق والأحبار والأفلام ، لأفرج عما يحتبس بداخله .

وأشهد له بأنه طراز نادر من رجال الإدارة الذين يحتفون بالكلمة الجميلة للكاتب ويتذوقون الخطوط التشكيلية . وربما كانت أمتع أوقاته على قلتها هي التى يطالع فيها بمتعة رواية لفتت انتباهه أو قصة ذات مغزى إنساني .

أما إذا كان زائر « محمد مصطفى سعد » كاتباً أو فناناً ، فعندها تتوارى الإدارة فى داخله ويبرز المتذوق والعاشق للفن . لحظتها يختفى « وزير الخزانة » فى أجازة ، ويستدعى من داخله عاشق الكلمة .

ولا أدري ما مناسبة الحوار معه عندما سألنى معاتباً : مفيش كتب جديدة ؟!

قلت : ربنا يسهل !! ومن ذاكرته المرتبة باقتدار فاجأنى سؤاله : أين ذكريات أستاذنا صلاح حافظ ؟!

قلت ببساطة تشوبها الدهشة : موجودة !

ولم يتركنى لدهشتى وكمن يصدر قراراً لا محل لمناقشته قال : ولماذا لا تكون هذه المذكرات هي كتابك الجديد الذى تنشره لك « روز اليوسف » .

وأعدت على مسامعه نفس حجة صلاح حافظ القديمة التى أنا مؤمن بعكسها ، وأسعدنى أن يأتي رد الأستاذ « محمد مصطفى سعد » بأن مذكرات صلاح حافظ وثيقة وشهادة هامة على عصر بأكمله ، لكن تواضع الأستاذ صلاح حافظ يخجله أن يبوح بذلك !

وعاد « محمد مصطفى » يعاتب ذاكرتي قائلاً :

إن المذكرات والذكريات السياسية التى ملأت سماء الصحافة المصرية والعربية منذ منتصف السبعينيات هي اختراع وابتكار صلاح حافظ نفسه ، وانفردت « روز اليوسف » بتقديمها . . بدءاً بمذكرات فتحى رضوان عن أسرار حكومة يوليو ثم مذكرات محمود الجيار السكرتير الخاص لعبد الناصر أو منير حافظ الرجل الثاني فى مكتب معلومات عبد الناصر ، ومذكرات إبراهيم طلعت عن أيام الوفد الأخيرة ، وياعزيزي رشاد إن مذكرات صلاح حافظ لا تقل أهمية عن كل هذه المذكرات والشهادات التاريخية والسياسية !

وهكذا حاصرنى الصديق « محمد مصطفى سعد » بمنطق صارم ولذيذ ، وعدت لأسأله : وما مناسبة صدورها ؟! وعاد الرجل ليقول : المناسبة لا تهم .. ولا يحتاج صدور ذكريات أستاذنا صلاح حافظ إلى موعد أو مناسبة ، فالرجل وكتابته ومقالاته ومواقفه أكبر من الموعد وأغلى من المناسبة .

ووجدت نفسي أستسلم بسعادة لحصار الصديق « محمد مصطفى سعد » ، ووعدته بكتابة مقدمة تروى ظروف إعداد ونشر المذكرات فى « صباح الخير » ربيع ١٩٨٤ ، وعندما دعانى بعد أسابيع لاحتساء فنجان قهوة بمكتبه ظننت أنه سيسألنى عن عدد الصفحات التقديرية للكتاب .. و ..

لكن الرجل ـ وياللمفاجأة ـ فتح درج مكتبه ليرينى ملازم الكتاب كاملة بغلافها ، ولم يبق سوى كتابتى للمقدمة !!!

وللمرة الثانية يضاعف الصديق « محمد مصطفى سعد » من ديونى لديه .. صحيح : أن الأدب هوايته ، لكن « الأرقام » حرفته !!

رشاد كامل

ربيع ١٩٩١

كلمة حب وإعزاز
وكلمة تقدير ووفاء

أما كلمة الحب والإعزاز فإننى أتوجه بها إلى الأخ والزميل الأستاذ / رشاد كامل مؤلف هذا الكتاب ـ الذى أسعدنى كثيراً بمؤلفاته الصحفية المتميزة والتى أضافها للصحافة من خلال كتبه التى صدرت عنه بما تميزت به من أسلوب صحفى ممتع وكلمة رشيقة . وحبى وتقديري لشخصه نابع مما تلمسه فى هذه الشخصية من عمق فى البساطة وشدة فى الشفافية وصدق فى الأحاسيس .. هذه الشخصية تدخل قلبك بحب وتتآلف معك بدقة وعذوبة وكأنك تعرف رشاد كامل من زمن بعيد ..

لقد اختار الأستاذ / رشاد كامل .. أن يكون كتابه هذا عن عَلَمٍ من أعلام الصحافة فى مصر الذين قلما أن يجود بهم الزمن .. ذلك الكاتب الصحفي الكبير الأستاذ / صلاح حافظ .. فكان الاختيار فيه الذكاء والحس الصحفي .. وكان الاختيار دقيقاً وموفقاً ووجدت نفسي أمام كاتب صديق لموضوع عظيم ـ سرعان ماتحمست له بصدق وأسرعت وأسرع معى مؤلف الكتاب ليكون إصداره من روز اليوسف التى تحمل حباً كبيراً

لأبنائها . . والأستاذ / صلاح حافظ ليس فقط ابناً من أبنائها ، ولكنه مُعَلِّمٌ كبيرٌ لتلاميذها وأجيالها الصحفية المتتابعة ولهذا تأتى الكلمة الثانية وهي كلمة التقدير والوفاء . . موجهة لصاحب مضمون هذا الكتاب ومحوره ـ الأستاذ / صلاح حافظ ـ الذى عشت معه وعايشته صحفياً ذكياً وكاتباً بارعاً ورئيساً لتحرير روز اليوسف في السبعينيات ، وأشهد أنه كان دقيق الكلمة متناسق المعانى ، سلس التعبير . . ذكياً فى تحاوره على صفحات المجلة والمقال ، بسيط المعنى ، دقيق الهدف . . يخاطب القارىء مباشرة بأسلوب مبسط يصل لعقله وقلبه فى بساطة ودقة . . ذلك هو أسلوب الأستاذ صلاح حافظ . . فقد منّ الله عليه بقدرة عالية لتطويع الكلمة وصياغتها وتوظيفها لتصبح أسلوباً شديد الرقة والعذوبة وتعطى للقارىء شوقاً وتشوقاً تجعله مشدوداً لما يُكتب بقلم صلاح حافظ .

وقد تكون دراسته بكلية الطب هي أحد عوامل إدراكاته للطبيعة الإنسانية وأغوارها وكيفية مخاطبتها . . كما أعطته قدرة على أن يعطى للموضوع نسيجاً حياً نابضاً بالحياة ، قريباً من القارىء ، وقريباً من القلب .

إن هذا الكتاب الذى بين يديك أيها القارىء العزيز ، وصاحب الفضل الأول والأخير فى تقييم الكلمة والصحافة مؤثراً فيها ومتأثراً بها . . أقول إن هذا الكتاب سيكون وثيقة تاريخية لِعَلَمٍ من أعلام الصحافة ـ ستجد فيه كثيراً من الجوانب عن حياته وآرائه فى مواضيع كثيرة ، وستجد أيها القارىء الكريم المتعة

والفكر والثقافة ، والعرض الجيد بقلم الزميل والأخ والصديق الأستاذ / رشاد كامل ، ذلك القلم الذى أصبح له حضوره لدى القارىء ومشيراً ببزوغ نجم له شموخه وبصماته ، وأتمنى أن يكون هذا الكتاب باكورة الإنتاج لعدة كتب أو سلسلة كتب تصدر عن قمم الصحافة فى مصر وفى روز اليوسف ، تلك المدرسة التى أنجبت أساتذة الصحافة تعلمهم أيها القارىء العزيز ولهم فى ذاكرتك الكثير .

« محمد مصطفى سعد »

■ الحوار الأول ■



٥ ابريل ١٩٨٤

للسادات قتلة آخرون !

- تقارير النبوى إسماعيل قدمت السادات للقتل !
- السادات قائد وطنى حقيقى وأخطاؤه مسألة ثانية !
- هيكل صحفى تحول إلى رجل دولة يعمل بالسياسة !
- خريف الغضب، كتاب أملاه الغضب !
- رفضت رئاسة تحرير جريدتى الأهالى والوفد !

منذ اغتيال الرئيس السادات . توالت اجتهادات وتفسيرات لمغزى ماجرى .. ربما كان اكثرها إثارة هو ماكتبه هيكل فى خريف الغضب ..

● وسالت الاستاذ صلاح حافظ .. ما شهادتك على ما حدث بالضبط ؟ ولماذا قتل السادات ؟ كيف انتهى بطل اكتوبر بهذه النهاية الماساوية كاحد ابطال الاساطير ؟!

قال الاستاذ صلاح حافظ ..

ــ أنا اعتقد ان الرئيس السادات كان يمكن أن يعيش حتى الآن لو انه استمر فى الخط الديمقراطى الذى رسمه فى البداية ! لكن مصرع السادات كان ارتداده عن الديمقراطية وبطشه بها !

إن هذا البطش بالديمقراطية كان إعلانا لكل التيارات السياسية فى مصر بانه .. إذا اردتم ان تناضلوا فى سبيل أفكاركم فاقتلونى أولاً !! ولن يوجد صوت فى مصر إلا صوتى ،. وكل من يخالفنى مجرم !!

ثم قال بوضوح أشد .. إذا قمت بحصر حصيلة ما قاله السادات بعد احداث ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ فستجد أنه كان يرى .. أن الصحفيين افندية ولاد كذا .. والمحامين خونة .. والإخوان المسلمين كذا .. وطلبة

الجامعة عيال مش متربية .. أعلن السادات معاداته لكل الطوائف وأيضا سخطه !!

باختصار شديد لم تبق طائفة نظيفة فى الشعب المصرى .. ولا نقابة ولا فرد واحد !

وعندما يعلن حاكم هذا فهو يعلن فى نفس الوقت .. ياأيها الناس اقتلونى إذا أردتم أن تثبتوا أنكم كويسين ، أو إذا أردتم فرصة لكى تتكلموا .. فاقتلونى أولاً .

كأنه كان يقول بالبلدى الذى يفهمه أولاد البلد .. ياأنا يا أنتم !!

وكلمة أنتم هذه ليست موجهة لأقلية ، ولكنها كانت موجهة لجميع الهيئات والطوائف .. لم يترك السادات طائفة فى مصر إلا وشتمها وقال عنها « وسخة » !

فى وقت من الأوقات شن السادات حملة على الصحفيين المصريين الذين يكتبون فى صحف الخارج واتهمهم برسم صورة لمصر أنها « وسخة » . السادات نفسه رسم هذه الصورة كاملة .

تسألنى بعد ذلك من قتل السادات ؟!

● قلت له وأنا أقرب جهاز التسجيل منه عندما تراجع إلى الوراء قليلاً ..

ـــ لست وحدى الذى يسأل ؟!

قال .. الذى قتل السادات هو الذى دفعه إلى اتخاذ هذا الموقف !! إن السادات لم يكن رجلاً مجنونا أو عاجزا فكريا أو جاهلاً سياسيا . أبداً . إنما السادات بنى حساباته السياسية بالطبع بناء على ما يعرف . إذن فالذى قتل السادات هو من قدم إليه المعلومات والتى على أساسها بنى السادات خطته السياسية .

□ النوم فوق قنبلة زمنية .. □

اعرف ان الكتابة عن شخص لا اعرفه جريمة يعاقب عليها القانون !! وقلت .. زدني إيضاحا ياسيدى !! من ذلك الذى قدم المعلومات للرئيس الراحل ؟ .

قال بحسم .. تضع فى الصدارة النبوى إسماعيل .. ومش هاقول إنه كذب على السادات وقال له إنهم عاملين مؤامرة ضدك زى ما بيقال .. لأن السادات لديه جهات أمن أخرى كان بإمكانه أن يسألها ويتأكد عن طريقها .. هل هناك مؤامرة أم لا !!

ولكن النبوى إسماعيل أدخل فى روع السادات أن الشعب المصرى كله بجميع طوائفه معه وأنه لا يوجد فى مصر معارض له باستثناء قلة هزيلة مأجورة .. ولعلك تذكر أنه فى أحد الاستفتاءات .ظهر النبوى إسماعيل على شاشة التليفزيون وهو يقدم نتائج الاستفتاء للرئيس السادات فى ميت ابو الكوم وقال له يومها .. وقد ظهرت هناك قلة قليلة حاولت أن تقول لا ولكن الشعب كله قال نعم .

وأردف الأستاذ صلاح .. طبعا المنظر كان كوميديا .. لأن الذى يقول هذا الكلام هو وزير الداخلية المشرف على هذا الاستفتاء والمفروض أنه محايد تماما !! وهو ليس ضد الذين قالوا لا .. وليس مع الذين قالوا نعم !! ثم إنه إذا كان من قالوا لا هم قلة هزيلة ومأجورة لماذا يجرى إذن الاستفتاء !! فالاستفتاء يعنى أن تقول لا .. ويعنى أن تقول نعم .. فإذا كان من قال لا هو فى رأيك خائن ومأجور .. فلماذا أصلاً تجرى الاستفتاء ! .

ربما المثقفين حللوا هذا الهزل زى ما انا بأحلله دلوقتى وسخروا منه لكن الشعب من غير تحليل احس وشعر أن هذا نصب !! وكلام فارغ .

هذا صوت صلاح حافظ قليلا واقترب من الهمس وقال بهدوء شديد ..
طبعا تكرار مثل هذا الكلام خدع السادات ، وجعله يعتقد أن الشعب مع هذه التصرفات الخاطئة أن الشعب كله كان مع السادات فى تصرفات كثيرة .. ولكن عندما تقول له إن الشعب معك فى التصرفات الخاطئة فانت تخدره وتجعله ينام فوق قنبلة زمنية ستنفجر ذات يوم .

وانا أعتقد أن مغالاة النبوى فى خصومة المعارضة وتصويره طوال الوقت أن الرأى العام كله مع السادات حسب تقارير الداخلية . وأن من ليسوا معك قلة ليس لها قيمة وهزيلة ومدفوعة الأجر سواء من موسكو أو الرياض .. هذا أحد الذين قدموا السادات للقتل . وأحد الذين أشعروا الرأى العام المعارض انه لا أمل فى الحوار .. وانت لا تقتل إلا إذا فقدت الأمل فى الحوار .

واللى دفع السادات وأغراه بأن يبطش بالجميع .. و .. واقتناعه بأن كل مصر معاه فعلا .. وهذه الصورة لا يمكن تكون جاءت للسادات من تجربة مباشرة فى الشارع أو احتكاك مباشر ، وإنما من خلال إقناع النبوى له بأن الناس معه فعلاً .. و ..

◻ الانفتاح والتقارير الوردية .. ◻

كان الأسى قد بدأ يكسو ملامح وجه صلاح حافظ ، ولم تفلح ابتسامة باهتة فى أن تبدد ذلك الأسى !!

● وقلت .. ثم من ؟

قال .. القاتل الثانى فى رأيى مجموعة الانفتاح . وهم مجموعة وليسوا شخصا واحدا ـ وهذه المجموعة المناصرة للانفتاح والمستفيدة منه ظلت تعطى للسادات تقارير وردية عن ثمار هذا الانفتاح فعندما يقال أن سعر متر

الأرض ارتفع فهذا يعنى ارتفاع سعر « مصر » . فهذا تفكير مصاطب وتفكير حلزونى .. صحيح أن مصر سعرها ارتفع ولكن ليس على الأجنبى ولكن على الإنسان المصرى ، وهذا ليس كلام السادات ولكنه كلام مجموعة المستشارين بتوع الانفتاح .

● فجاة طاردت سؤالا فى ذهنى وطرحته قائلاً .. هل انت ضد الانفتاح ؟!

قال .. الانفتاح فى حد ذاته فكرة صائبة وممتازة . وانا لو كنت مكان السادات كنت أعلنت الانفتاح بس أعمل فرق بسيط قوى .. وهو أن اى إنسان يريد استيراد اى سلع ليس لدى مانع بشرط ان يدفع جمركاً .. اقصد سلع استهلاكية جبنة .. كافيار .. ادوات زينة .. إلخ .. اما الذى يستورد لى مصنع أو ماكينات فإننى أعفيه من الجمارك بل أعفيه من الضرائب ٢٠ سنة قادمة وفى هذه الحالة كان كل راس المال المصرى سيعمل فى الصناعة والإنتاج وهنا يصبح الانفتاح جزءا من التنمية .

ضحك صلاح حافظ ثلثى ضحكة وقال .. نحن فعلنا العكس تماما .. فالقوانين التى صدرت تعفى جميع السلع الغذائية من الجمرك ثم يباع بعد ذلك للمستهلك بأضعاف ثمنه .. أما مستلزمات الإنتاج فبعد أن كانت جماركها تحسب بالجنيه المصرى صارت تحسب بالدولار . اى أنهم عاقبوا المنتج والصانع وجاملوا التاجر الشاطر الفهلوى .

فالانفتاح فى حد ذاته ليس خطأ ، إنما الذى قتل السادات ثانيا هم مجموعة الانفتاح التى فسرت الانفتاح هذا التفسير واستصدرت قوانين تفرضه بهذا الشكل ، فارتفعت الأسعار على جميع الناس ، وأصبح صاحب الدخل المحدود لا يستطيع أن يعيش وأصبح الموظف بمرتبة المحدود لابد أن يحول وظيفته إلى مصدر ارتزاق وأن يفرض ضرائب على المتعاملين معه

من الجمهور ! فأصبح لا يوجد شيء يمكن إنجازه إلا إذا دفعت ثمنه للموظف .

مجموعة الانفتاح جعلت الفئات الشعبية والكادحة والفقيرة في حالة تذمر ومستعدة أن تصفق لمن ينهي هذا الوضع . ولو كان الذي سينهي هذا الوضع قادم من المريخ !!

وهذا هو القاتل الثاني ياسيدي ..

● باغتني الأستاذ صلاح حافظ قائلاً .. تشرب إيه ؟!

قلت مبتسما .. حاجة سخنة تزيد حوارنا سخونة !!

وغاب دقائق وعاد بفنجاني شاي تسبقهما رائحة النعناع الفيومي ..

□ موسى صبري .. الجريمة والعقاب .. □

كانت تحت كلمة كلمة نطق بها الأستاذ صلاح حافظ ينام « لغم » .. ووراء كل علامة استفهام تختبيء « قنبلة » وفوق كل حرف تقف « رصاصة » .. هكذا أحسست !!

● وبلمت إحساسي وسألت .. أهناك قتلة آخرون ؟!

قال .. إذا كنا في الأشخاص قد حددت النبوي فأنا لا أعفي باقي شخصيات الحكومة وقتها لأنها لم تنبه السادات وتنقذه من النبوي .. وكان بإمكانهم أن يتكلموا . ولكن هذه جريمة سلبية ..

ويضحك قائلاً .. إنما في اعتقادي اللي كان إيجابي هم النبوي ومجموعة الانفتاح .

● قلت .. هل نأتي للقاتل الثالث ؟!

قال .. الثالث في رأيي هو صديقي الحميم جداً الأستاذ « موسى صبري » ، وأنا أعرف موسى صبري جيداً وهو صديقي جداً ، ومن مشاكله

الدائمة كما وصفه زميلى مفيد فوزى « المقاتل » - إنه رجل مندفع جداً .
وإذا آمن بشيء فإنه يبالغ فيه أكثر من صاحب الشيءنفسه ! وشيء غريب فى موسى صبرى أنه لا يخشى النتائج أبداً ولايحسب مقدما حساب أن هذا ممكن يكون غلط أو يضره .. لا .. ده هو مستعد يدخل السجن .. ده شيء كويس أن موسى صبرى جرىء ومقاتل ولكنه مندفع ومبالغ ! وعمره مايكتب رأياً يضع فيه احتمال ولو ٥٪ مثلاً أن هذا الرأى غلط .. عمره ما يستخدم كلمة « قد » !!

موسى يقتحم كل شيء بانفعال أكثر من صاحب القضية !

● قلت معلقا .. ربما لهذا يقول خصومه إنه ساداتى أكثر من السادات نفسه ؟!

قال .. ده صحيح .. يعنى لو بيدافع عنك أنت « رشاد » هيبقى « رشادى » أكثر منك !! ولو دافع عن صلاح هيبقى صلاحى أكثر منى !!

وموسى صبرى عرف السادات من زمن بعيد من أيام المعتقل ، وأصبح عنده عقيدة أن السادات عظيم ووطنى بس الرجل الوطنى ممكن يغلط .. والرجل العظيم ممكن يتلخبط .. لأنه مش معصوم من الخطأ !! وموسى صبرى فى التزامه بالدفاع عن سياسة السادات شارك فى اقناع السادات بأن مواقفه صائبة . فهاجم كل خصوم السادات . وانتقدهم بقسوة شديدة ، وصور الأمر على أن السادات هو مستقبل مصر الحقيقى . وهو المصرى الحقيقى والزعيم الوفى الحقيقى . وأن الخصوم ليسو أشخاصا مختلفين مع السادات .. لا .. ولكن هؤلاء الخصوم جميعهم أشخاص مغرضون كذابون .. نصابون .. ويتصيد لهم مواقف سابقة تخالف مواقفهم الحالية ويحاربهم حربا عنيفة بصورة أقنعت السادات أنه على حق تماما فى كل ما يفعله !!

يضيف صلاح حافظ .. وأنا أعذر موسى فى تأييده للسادات فى ١٥ مايو

لأن السادات بالفعل ضرب مراكز قوى حولت ثورة يوليو من ثورة لتحرير الشعب المصرى إلى جماعة تكبت البلد وتتحكم فيها على مزاجها أوافقه على تأييد أفكار السادات فيما يتعلق بالانفتاح لأننا كنا مستبشرين بالانفتاح خيرا إذا سار فى الطريق الذى سبق وتكلمت عنه .. أوافقه فى المنابر والأحزاب وحرية الصحافة .. كل هذا نوافق عليه . لأنه كان قد طال بنا الحنين إلى الديمقراطية وأن تقول رأيك ، وأن يصبح الخلاف فى الرأى مشروعا .

□ قلم موسى وقرار السادات ! □

● **وسألت الأستاذ صلاح حافظ .. ما الذى كنت تتوقعه من الأستاذ موسى صبرى بالضبط ؟!**

قال .. بعد ١٨ ، ١٩ يناير وعندما بدأ ارتداد السادات عن الديمقراطية .. كنت أتوقع من موسى صبرى أن يلعب دورا فى أن يجعل السادات « يتهز » ويعيد التفكير فى أخطائه وكان لدى موسى فرصة ذهبية فى إنقاذ السادات من تلك النهاية ، لأن السادات يثق فى موسى ولا يشك فيه !

● **سألت .. وكيف ذلك ؟**

قال .. كان يقول له مثلا إن هذه الحكاية غير صحيحة .. أو حتى بلاش يقول له مباشرة .. ممكن وهو يكتب يلمح فى كتاباته إلى أن هنا يوجد خطأ مثلاً .. وإن كنت أعلم أن موسى كان له من الدلال على السادات ما كان يمكنه أن يقول له أن هذا خطأ .. موسى لم يفعل هذا !! أكثر من هذا أنه حمس السادات لاتخاذ إجراءات أكثر فى نفس الوقت الذى كان السادات فيه يرفع شعار الديمقراطية وكان أمله فعلاً أن يحقق هذه الديمقراطية .

وموسى شارك فى أن يصور للسادات أن القوى التى تعارضه هى قوى مأجورة وعميلة ! وموسى فى ولائه المطلق للسادات جعله يصل إلى قرارات سبتمبر والتى أجمعت الأمة المصرية بجميع طوائفها ونقاباتها وأفرادها وأحزابها على أنها جريمة ضد الديمقراطية وضد مصر !! وموسى أطلق على هذه الإجراءات ثورة لا تقل أهمية عن ثورة ١٥ مايو ١٩٧١ .

وفى نفس الوقت فإن رؤساء تحرير الصحف المقربين من السادات سكتوا .. ولم يقولوا حتى برافو إنما اتخذوا موقف التبرير وقالوا .. أصل فيه ظروف .. وجماعات متطرفة وكذا .. لكى يبلغوا هذه القرارات للشعب !! أما موسى صبرى فإنه هتف له وقال .. هذه ثورة !!

سكت الأستاذ صلاح حافظ قليلا ثم قال مبتسما .. بذمتك ياأستاذى الفاضل بعد أن يقرأ السادات هذا الكلام ، ألا يقتنع بعدها حتى ولو كان عنده شك ١٪ بأن ما فعله صحيح ؟! وحتى إذا كان يشك فى وزير داخليته .. لأنه قد تكون تقاريره تبرر تقصيره .. إنما عندما يأتى موسى ويقول إنها ثورة لا تقل خطورة أو أهمية فى تاريخ مصر الحديث عن ثورة ١٥ مايو وهو رجل كاتب وصحفى له وزنه ويثق السادات فيه ، فهذا يؤكد للسادات أنه كان على صواب .. ولا يستطيع موسى أن يزعم أنه كان على صواب عندما قال إن هذه الإجراءات ثورة ، ولايزعم أنه كان معبرا عن رأى الشعب المصرى ، لأنه حتى هذه اللحظة لم نكتشف صوتا واحدا فى مصر يقول إن هذه الإجراءات صح ، أو أن الرأى العام موافق عليها أو حتى الأحزاب المعارضة أو الحزب الوطنى نفسه .. أو أن نائب رئيس الجمهورية نفسه حسنى مبارك قال إن هذا صح .

لقد حكم حسنى مبارك يوم أتى للحكم أن هذا كان خطأ لأنه أصلحه فى الحال . وأخرج جميع هؤلاء الناس من السجن واستقبلهم فى مكتبه ، اللى سبق أن قيل عنهم إنهم هيدمروا البلد .

إذن فقد حكم حتى نائب رئيس الجمهورية الذى هو الآن رئيس الجمهورية بأن هذا كان قرارا خاطئا .. وعندما أعلن موسى أن ما حدث فى سبتمبر هو ثورة فهو قد شارك فى ترسيخ فكرة أن الشعب المصرى كله كان مع السادات ، أما الآخرون فهم قلة مأجورة وحاقدة .. ولهذا لم يشعر السادات بالخطر عندما ذهب إلى العرض العسكرى فى ٦ أكتوبر . ولم يرتد القميص الواقى من الرصاص لأنه كان مؤمنا حقا أن الشعب كله معه .. وأنه ليس هناك أى خطر عليه .. وهذا غير صحيح لأن السادات فى ذلك اليوم قتل !! ولم يتحرك الشعب المصرى ضد قاتله .. ولم يتشاجر أحد .. ولم تحدث مفاجآت .. مع انه كان يجب أن يحزن الشعب على السادات لأنه قائد وطنى حقيقى – مخطىء دى مسألة أخرى – ولكنه قائد وطنى حقيقى .

● قلت .. تفسيرك لهذه الحالة من اللاحزن !!

قال بعد برهة من الصمت .. كان الشعب معبأ ضد السادات بعد قرارات سبتمبر ، فهذه القرارات أدخلت الحزن فى مئات الألوف من الأسر والبيوت المصرية التى سجن ابناؤها ظلما وعدوانا .. وهنا مسئولية موسى .. أنا لا أريد أن أقول إن موسى قاتل السادات .. لأن موسى بيعشق السادات ، ولكنه أيضا مسئول عن استمرار السادات للنهاية الدرامية التى وصل إليها .

ضحك صلاح حافظ ثم سألنى .. بالطبع ستسألنى بعد ذلك من قتل السادات ؟!

● قلت .. هذا ماكنت سوف أسأله ؟!

قال .. ببساطة قتل السادات هذه الجمعيات المتطرفة الحمقاء والخطيرة جداً على مصر وعلى مستقبلها .. وهى عندما قتلته لم يكن بسبب كامب دافيد أو سياسة البلد أو أمريكا أو روسيا .. ولكنها قتلته بسبب ثأر شخصى لا أكثر ولا أقل !!

□ هيكل وكتاب أملاه الغضب ! □

هل يمكن مقارنة الدور الذى لعبه الأستاذ هيكل مع عبد الناصر بالدور الذى لعبه الأستاذ موسى صبرى مع السادات ؟!

بحسم قال صلاح حافظ .. إطلاقا .. إطلاقا .. (كررها مرتين ثم ارتشف من فنجان الشاى) وقال ، لا يمكن المقارنة أبداً .. كان هيكل فى عهد عبد الناصر رجل دولة يعمل بالسياسة والحكم ! يعين وزراء .. يقرر سياسات .. هيكل صحفى تحول إلى رجل دولة واحتفظ من الصحافة والكتابة بمقاله الأسبوعى بصراحة فى الأهرام . أما موسى صبرى فهو كاتب وصحفى والتزم بهذه المهنة حتى هذه اللحظة . وهو ليس رجل دولة ولم يرشح وزيراً أو يطلب فصل وزير .. موسى كان كاتبا صحفيا وقربه من السادات كان سببه أنه يعرفه منذ زمن بعيد ، ويؤمن به ، ومازال يؤمن به حتى هذه اللحظة .. ولكنى أعتقد أنك لو سألت موسى اليوم هل كنت على صواب عندما قلت عن قرارات سبتمبر أنها ثورة .. أعتقد أنه سيقول .. أنا غلطت !!

● **قلت فجاة .. هل قرات « خريف الغضب » ؟**

فاجأتنى إجابته .. قرأت ما نشر منه لأنى لم أعثر على الكتاب ! وهذا الكتاب يشوبه إحساس بأنه تسوية حسابات مع السادات .. وأن هيكل المحلل والكاتب الذى عادة مايبنى كلامه على وقائع وتحليل يبدو فى هذا الكتاب رجلاً ساخراً ! ويعرض للوقائع والأحداث بأسلوب تريقة ويلمح بين وقت وآخر بأشياء مثل الفقر واللون أعتقد أنها لا تتفق مع المنطق الناصرى الذى يدافع عنه هيكل اصلاً .

وأنا أعتقد أن هيكل لو أعاد النظر فى هذا الكتاب سيشطب منه هذه

الشوائب . لأن هيكل رجل عاصر الأحداث وهو بهذا مرجع تاريخى وشاهد على التاريخ ولديه كمية هائلة من المعلومات لأنه كان موجودا داخل التاريخ نفسه !! والمفروض أن يعطينى كقارىء التاريخ .. لا أن يعطينى توليفة فيها تريقة وسخرية ..و ..وفهذا كله يقلل من قيمة الوقائع التى يقدمها .. ويجعل من يقرأها بعد عشر سنوات مثلا أن هذه الأشياء التى كتبها هيكل هى أشياء أملاها الغضب أو الغيظ .. والرغبة فى تسوية حسابات قديمة وجراح موجودة .

وفى اعتقادى أن خريف الغضب كتاب أملاه الغضب !!

□ السادات وهيكل ومفترق الطرق ! □

يلتقط صلاح حافظ انفاسه .. واجدنى ابادره قائلاً ..

فى عالمنا العربى العلاقة بين الكاتب وبين الحـاكم علاقـة غير سعيدة .. او زواج غير موفق لابد ان ينتهى بالطلاق !!

ضحك صلاح حافظ فاكملت .. لأنها علاقة قائمة فى الأصل على سوء الفهم وانعدام الثقة .. فلا الكاتب والصحفى يستطيع أن يتخلى عن غريزة الكلام ، ولا الحاكم يقبل مطلقا أن يسمع صوتا غير صوته .. وإذا قبل أن يسمع الكاتب .. فلا يطربه إلا قصائد المديح ومقالات التمجيد !!

وقلت له : فى عصر عبد الناصر كان هيكل صحفى العصر .. وفى عصر السادات لم يعد لهيكل نفس المكانة ونفس الإيثار وخاصة بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ .. رغم اعتراف هيكل مثلا انه وقف بجوار السادات فى ١٥ مايو وأنه .. وأنه .

واجدنى اسالك : ماتفسيرك لهذا التحول الدرامى فى علاقة السادات بهيكل ؟!

قال بوضوح شديد : عندما جاء السادات إلى الحكم لم يكن له رصيد عبد الناصر ، وبالتالى لم يجد التقدير الذى كان يلقاه عبد الناصر ، لم يكن أحد مع السادات . الاتحاد الاشتراكى ليس معه . وكذلك اليسار والسلطة الفعلية موزعة على شعراوى جمعة (وزارة الداخلية) محمد فوزى (الحربية) محمد فائق (الإعلام) وسامى شرف .. و .. وإذن لم يكن للسادات رصيد يسانده .

وفى رأيى أن السادات بذكاء شديد بدأ يخلق ويكون لنفسه حلفاء .. فى البداية بدأ بالنغمة الدينية فاستمال الفريق الدينى الذى كان عدوا لعبد الناصر ، وأيضا ألغى الحراسات فكسب ضحايا الحراسات فى عهد عبد الناصر وأفرج عن المعتقلين والمسجونين السياسيين من كافة الاتجاهات فكسب أنصارا آخرين .

ولأن السادات صحفى قديم ، ورجل شارع ، ويعلم التركيبة السياسية للشارع المصرى ، وكيف كانت تسير فهو يدرك تماما أن من يصادم الصحافة لن ينجح ! فى ذلك الوقت كانت الصحافة كلها فى مصر تكره هيكل ، لأنه الصحفى الأوحد ، فالأخبار والمعلومات تحجب عن الصحفيين إلى أن تعطى لهيكل . كان هذا مايقال وسواء كان صحيحا أو خطأ ، فقد كان ذلك ما يحس به كل الصحفيين ، وكان الأهرام أحد الامتيازات الأجنبية فى مصر . محرروه يقلدون هيكل فى كل شىء ، من ارتداء الملابس حتى طريقة الحديث . أما باقى الصحفيين فلا وزن لهم ولا قيمة على الإطلاق ! والقوانين فى مصر تسرى على الجميع إلا الأهرام ومن يعمل فيه .. لذلك تجد مدير الإعلانات فى الأهرام هو الشخص الوحيد فى مصر الذى صدر له قرار جمهورى بأن يتجاوز الحد الأقصى من الداخل .

ومن هنا أدرك أنور السادات أنه بالإضافة إلى الأنصار السابقين الذين نجح فى كسبهم إلى صفه ، سوف يضيف إلى رصيده كل الصحفيين إذا لم

يستمر فى سياسة إيثار هيكل التى كان يتبعها عبد الناصر .. مع أن هيكل لعب دوراً فى تولى السادات للحكم .

● **قلت مضيفاً : وفى ١٥ مايو ١٩٧١ كان هيكل كما اعترف بنفسه قائلاً : عندما قام السادات بإسقاط مراكز القوى كان موقفى واضحاً إلى جوار الرئيس السادات وكنت أول شخص دعاه إلى بيته ليتشاور معه .**

ضحك صلاح حافظ وقال : ورغم هذا كان السادات ـ وهذا ما أعتقده شخصياً ـ مبيتاً منذ البداية ، فى حملته لكسب الأنصار ، أن يبعد هيكل عنه .. بأن يفتح بابه لكل الصحفيين ويقول لهم : تعالوا إلى .. وكل منكم يستطيع أن يكون هيكل !!

وعادة فإن هيكل يقدم تفسيرات سياسية لخلافه مع السادات . قد تكون صحيحة . ولكنى أعتقد كما قلت أن مسألة كسب ود الصحفيين كانت تعنى عدم الاستمرار فى سياسة إيثار هيكل !

□ أنا .. وصحافة المعارضة ! □

● **قلت : لماذا رفضت رئاسة تحرير جريدة « الأهالى » لسان حال حزب التجمع ؟!**

قال : لعلك لا تعرف أننى صاحب اسم « الأهالى » وأذكر أننا فى إحدى جلسات التحضير للجريدة وكان موجوداً خالد محيى الدين والكاتب الصديق « محمد عودة » ، وكنا نريد اسماً سهلاً نطلقه على الجريدة واستبعدنا أسماء ضخمة مثل : المقاتل .. المجاهد .. الراية .. البصير .. وفجأة قلت : ليكن اسم الجريدة « الأهالى » وبعد أن استقر الأمر على هذا الاسم قال لنا محمد عودة : ده زمان كان هناك صحيفة بهذا الاسم فعلا .

وكان الاتفاق فعلاً أن أتولى رئاسة تحرير الأهالى ، ولكن شيئين جعلانى لم أواصل هذه المهمة . الشيء الأول أننى كنت مشغولا جداً ، فلم أذهب بشكل منتظم لمتابعة عملية الإعداد للجريدة ، والشيء الثانى أن ظروف نشأة حزب التجمع ، والخلافات التى حدثت أثناء تشكيل قيادته كانت من ضمن الأسباب التى جعلتنى لا أقبل هذه المسئولية . كما أنه دخل فى تشكيلات الحزب خلافات سابقة بين تيارات وطنية كثيرة .. جعلت المسألة بالنسبة لى فيها غموض .. وأنا لا أفهم فى الغموض أو ألعاب الكواليس ، وكان تصورى أن المطلوب هو إنشاء صحيفة ناجحة ، تخدم هدفا متفقا عليه .. ولا تفرق فى الدهاليز والكواليس .

● **قلت : وما حقيقة الإشاعة التى ذهبت إلى أن قيادة الوفد الجديد عرضت عليك أيضا رئاسة تحرير جريدته ؟!**

قال : عندما أخذ الوفد يفكر فى إصدار جريدته أخذ يفكر فى عدة أسماء لرئاسة التحرير ، وطرح الأستاذ مصطفى أمين اسمى على قيادة الوفد لرئاسة التحرير ، ثم كلمنى الأستاذ مصطفى أمين وأبلغنى أنه رشحنى لرئاسة التحرير ! وطلب معرفة رأيى فى هذا الموضوع ! وقلت له : إن الحزب بالنسبة لى مجهول الهوية . ولم يقل شيئا بعد .. وعندما أقبل رئاسة تحرير جريدة حزبية فهذا معناه أننى أعبر عن سياسة هذا الحزب .. فكيف يمكن ذلك وأنا لا أعرف سياسة هذا الحزب !! فكيف أقبل أو أرفض هذا المنصب ..

● **قلت : وهل تقبل الكتابة فى جريدة حزبية ؟**

قال مبتسما : عندما أكتب مقالا لينشر فى صحيفة أى حزب فهو فى النهاية يكون بتوقيعى ويحمل وجهة نظرى فيما أكتبه .. وقد يكون ضد سياسة جريدة الحزب .

فجأة تثاءب الأستاذ صلاح حافظ .. كانت الساعة تشير إلى الثالثة بعد منتصف الليل .. والصباح يستأذن فى المجىء .. و ..

وكان فى قلبى عشرات الأسئلة ..

● حكاية السادات مع روز اليوسف وسر خلافه مع عبد الرحمن الشرقاوى ! لماذا أقال السادات صلاح حافظ من رئاسة التحرير ؟ أسرار التنظيم الطليعى ! لماذا قرر عبد الناصر تأميم الصحافة المصرية ؟ كيف فصل هيكل الصحفيين بدون علم عبد الناصر ؟ لماذا رفض عبد الناصر توقيع قرار بتولى صلاح حافظ رئاسة تحرير مجلة آخر ساعة .. و ..

ورد صلاح حافظ قائلاً : أمهلنى أسبوعا ..



■ الحوار الثانى ■



١٢ ابريل ١٩٨٤

الصحافة .. السلطان .. الغضب !

- السادات لعبد الرحمن الشرقاوى : الشيوعيون ضحكوا عليك !
- طلب السادات إقالتى ورفض الشرقاوى !
- وجود الزعامات شىء لا يحبه عبد الناصر ويكرهه هيكل !
- هاجمت الاتحاد الاشتراكى فحبسنى شعراوى جمعة !
- هيكل كان مفيداً لعبد الناصر !

● قلت للأستاذ صلاح حافظ : عندما قامت الثورة كان قريبا من عبد الناصر اكثر من صحفى لامع .. كان هناك مصطفى وعلى امين .. إحسان عبد القدوس .. كامل الشناوى .. احمد ابو الفتح .. حسين فهمى .. لماذا هيكل وحده كان صحفى العصر ؟ او كما اسماه البعض .. كبير الطهاة فى المطبخ الناصرى ؟!

قال : هيكل التصق بعبد الناصر ، وصار بينهما نوع من الثقة الشخصية . وهيكل كان مفيدا لعبد الناصر ، أولا لأنه كاتب وصحفى كويس . فكان يستطيع أن يصوغ حتى الأفكار الغامضة فى ذهن وعقل عبد الناصر . أقصد أنه كان يتأمل افكار عبد الناصر ، وعندما يتصدى لكتابتها فقد كان يجسدها ويعطيها صيغة تريح عبد الناصر . وثانيا فإن هيكل كان يدرك عكس الآخرين من كبار الصحفيين ـ إن الحاكم محتاج إلى من يمده بالمعلومات ، لا أن يطلب منه المعلومات والأخبار .

وأنا اذكر قصة رويت لى ذات مرة ، وحدثت فى مؤتمر باندونج . كان عبد الناصر يصطحب معه لحضور هذا المؤتمر أسماء صحفية كبيرة منها هيكل ، إحسان عبد القدوس ، حسين فهمى وآخرون ، المهم أن هؤلاء الصحفيين لاحظوا أن عبد الناصر دائم الانفراد بهيكل ، وكثيرا

ما يجلسان سويا لفترات طويلة .. وفى إحدى المرات دخل رئيس تحرير عليهما ، وعندما تنبه عبد الناصر لدخوله ، اشار له بيده بما يعنى : انتظر قليلا فى الخارج حتى ننتهى من حديثنا !

وغضب رئيس التحرير وحكى لزملائه ذلك الموقف ، وصمموا على مفاتحة عبد الناصر فى هذا الامر . وفى المساء اجتمعوا بعبد الناصر .. وطلبوا من زميلهم أن يتكلم .. فصمت ، واستوضح عبد الناصر الامر . فقال أحدهم :

- ياريس إحنا رؤساء تحرير .. وعاوزينك تدينا أخبار زى هيكل علشان ننشرها فى صحفنا ، ونريد أن تجلس معنا كما تفعل مع هيكل وتحكى لنا أسرار ما يحدث فى المؤتمر .. و .. ؟!

ونظر عبد الناصر إليهم بدهشة قائلا : أنا معكم ليل نهار .. وأنا لا أملك معلومات اقولها لكم .. أنا أجلس مع هيكل لانه ياتى لى بمعلومات وأخبار .

أريد أن اقول باختصار إن هيكل كان يخدم عبد الناصر ، وكان مفيدا له كزعيم وحاكم .

● قلت والآخرون الم يكونوا مفيدين لعبد الناصر ؟

قال : الآخرون كانوا صحفيين وكتابا ، تعودوا أن يقولوا رأيهم ، وينتقدوا ما هو غير مضبوط . ولم يكن دور الكاتب ابداً أن يكون فى خدمة الزعيم ! لكن هيكل أدى هذا الدور وأصبح مفيدا للزعيم . وما دام يفيده ويصوغ له أفكاره فمعنى هذا أن هناك حوارا بينهما . ومن ثم صارت بينهما نقاط اتفاق ونقاط خلاف . وارتفعت العلاقة بينهما إلى مستوى : أننى اتناقش معك !! ثم صارت آراء هيكل التى يكتبها فى مصر لها قيمة . وربما أصبح لشهادته فى حق الناس قيمة أيضاً .. الخ .

● قلت : وما اثر ذلك فى الموقع الحميم على الصحافة المصرية ؟

قال بحسم : هذا الموقع الذى كان يشغله هيكل يجعله فى رأيى أحد المسئولين عما أصاب الصحافة وعما كان يشكو منه الصحفيون فى عهد الثورة !! فهو بهذه المكانة لم ينجح فى أن يجعل للصحافة موقعا أكثر احتراما من جانب الثورة ! كان يمكنه ألا يجعل الصحافة تهان بسهولة !

ولا أريد أن أقول إن هيكل شارك فى هذا . ولكن اكتفى بأن أقول انه لم ينجح فى أن يرد غائلة «الاضطهاد الثورى» عن الصحافة والصحفيين . لقد رأى هيكل ولمس بنفسه هموم الصحافة قبل أن يصبح فى هذا الموقع الممتاز ، فكان المنتظر منه بعد أن صارت له هذه المكانة عند عبد الناصر أن يحمى الصحافة من هذه الغائلة ـ ليس من باب الولاء المهنى ـ وأنا لا أتكلم من الناحية المهنية ـ ولكن اتكلم من باب الفائدة السياسية للبلد فعلاً .

● قلت : زدنى إيضاحا وتفسيرا يااستاذ صلاح ؟

قال : أن تكون فى مصر صحافة قوية ومحترمة ، فى ظل زعامة وثورة .. فهذا شيء مطلوب جداً .. حتى ولو كان نصف هذه الصحافة ضد هذا الزعيم ! كان هذا مطلوبا ومفيدا جداً للنظام نفسه !

□ هيكل وعبد الناصر .. الكراهية المشتركة □

● سألت : كيف كان جمال عبد الناصر يرى الصحافة ؟

قال : انا اعتقد ان جمال عبد الناصر كان يخشى الصحافة ، لذلك كان يفضل أن يكون اتصاله بـالجماهـير اتصالا مباشرا وليس من خلال الصحافة . وربما كان تعبير «يخشى» مش مضبوط ، إنما الأصح أن أقول إنه كان «غير مكترث» . فطالما أن الجرائد لا تكتب أوتنشر شيئاً «يلخبط» له سياسته ، فهو يفضل الصلة المباشرة مع الجماهير .

وهذه نظرية هيكل . فهو كتبها ودافع عنها .. لذلك هيكل كان يكره أن يكون للثورة حزب . فلم يحب الاتحاد القومى ، أو الاتحاد الاشتراكى . بل كان يحتقر الاتحاد الاشتراكى احتقارا شديدا ، بل كان يرفض أن يكون للجنة الاتحاد الاشتراكى الموجودة فى «الأهرام» كيان أصلاً !! وإذا أى شخص فتح فمه بكلمة ينقل فوراً !

وهيكل يلتقى مع عبد الناصر فى الكراهية الشديدة لكافة الأشكال التنظيمية للجماهير . ويكره جداً الجماهير المنظمة ، وهذه أيضاً نظرية هيكل ويدافع عنها بحرارة شديدة ويقول : فى الماضى كان الحزب هو الصلة بين الزعيم والجماهير .. أما الآن فنحن نعيش عصر الراديو والتليفزيون والأقمار الصناعية .. وعبر وسائل الاتصال هذه صار الزعيم متصلا بالجماهير ! فما حاجته إذن إلى حزب ؟! ما حاجته إذن إلى الاتحاد القومى أو الاتحاد الاشتراكى ؟!

ومن المعروف طبعاً كقاعدة سياسية أن الشعب غير المنظم يساوى صفراً ، وأن الشعب المنظم هو الذى يستطيع أن يحكم مصيره .. ووجود الزعامات كان شيئاً لا يحبه عبد الناصر ، وكان يكرهه هيكل .

لذلك كله ابتدع هيكل نظرية أن الزعيم فى العصر الحديث هو زعيم مباشر ، يتصل بالجماهير على طول دون الحاجة إلى حزب ! أما الحزب فيدخله الرجعيون والنفعيون ويفسدون الدنيا !

□ الاستقلال ضرورة للكاتب □

● **قلت كيف ترى وظيفة الكاتب الآن ؟ هل لابد أن يكون مستقلا عن الأحزاب ؟ أم ينفصل عنها ؟! هل هناك قدر من المسافة بين الكاتب وبين الحزب والقارىء ؟**

قال : أنا عملت تقريباً فى كل صور الصحافة . حزبية وغير حزبية . اشتغلت فى صحافة تنظيم سرى هو «حدتو» وفى صحافة مدرسة وطنية مثل «روز اليوسف» وصحافة مدرسة إخبارية مثل «أخبار اليوم» ، واشتغلت فى الصحافة وأنا أنتمى إلى الاتحاد الاشتراكى العربى ، واشتغلت فيها أيضاً وأنا انتمى إلى التنظيم الطليعى السرى الذى أنشأه جمال عبد الناصر «ونحن الآن نعيش تجربة الصحف الحزبية . وكما قلت لك شاركت فى تأسيس صحيفة الأهالى ، ومع ذلك فأنا لم أنضم او أنتمى لحزب من الاحزاب !

وأنا لم أنتم لحزب ..ليس لأنى ضد الأحزاب الموجودة الآن ، أو لأنى لا أجد فيها حزبا يعبر عنى .. ولكن بعد تجربة طويلة جداً من الكتابة السياسية والأدبية وغيرها اكتشفت أن انسب شيئا للكاتب أن يكون مستقلاً !

● قلت مستوضحا : تقصد الاستقلال عن حزب سياسى ؟

قال : كلمة «الاستقلال» هنا ليس معناها عدم الانتماء إلى رأى أو إلى عقيدة ، وإنما عدم الالتزام بتشكيل حزبى ، حتى يكون الكاتب فيما يكتب معبرا عما يرى انه الحق طول الوقت . لقد اكتشفت تناقضا مزعجا جداً حتى بالنسبة للكاتب الملتزم . فأنت عندما تكتب ويكون لك قراء ، فهم يثقون بك ، وهنا يجب أن تكون أمينا معهم ولا تقول لهم إلا الحقيقة . وعندما تنتمى إلى حزب فأنت تلتزم بمواقفه ١٠٠٪ ، وهذا الحزب فى سلوكه اليومى قد يتخذ مواقف تكتيكية فى المسالة الفلانية . ويخطىء أحياناً ويصيب أحياناً . فيجد الكاتب نفسه بين فكى كماشة ، فهو يعتقد أن هذا الموقف خاطىء من الحزب لكنه عضو فيه ، ويجب عليه الالتزام بهذا الموقف والدفاع عنه . وهذا معناه أن الكاتب يجب أن يدافع عن رأى الحزب الذى

هو غير مؤمن به والذى قد يكون خطأ ، وقد يعتذر الحزب عنه فى المستقبل . وهنا المشكلة . فعندما تكتب مدافعا عن رأى الحزب وأنت تعتقد أنه غير صواب فقد قمت بخيانة قارئك .

هناك ميثاق على البعد بينك ككاتب وبين القارىء . أنك لا تقول له إلا ما هو صائب من وجهة نظرك . وهنا تقع فى ورطة لا يقع فيها رجل السياسة أو الزعيم أو الكادر الحزبى المناضل !! لأن كلا من هؤلاء يدافع عن الحزب ، فإذا غير الحزب موقفه يغير موقفه معه . لكن الكاتب يقع فى ورطة فهو مرتبط بشىء آخر هو قارئه ، وثقة هذا القارىء .

واكتشفت أيضاً أن عدم الاستقلال للكاتب يضر حتى بحزبه الذى يؤمن به .

● **قلت والدهشة على طرف كلماتى : وكيف يضار الحزب من الكاتب المؤمن بهذا الحزب ؟**

قال : تصور مثلاً أحد الأحزاب اتخذ موقفا خاطئا ، وفى نفس الوقت فإن جميع كتابه يدافعون عنه . هذا الدفاع يخدر الحزب ويصور له أن موقفه صائب . وقد يكون كتاب الحزب أبلغ من زعمائه فيؤكدون الفكرة الخاطئة أكثر من الزعيم نفسه !! لأنه ببساطة مهنتهم الكتابة والبلاغة والاقناع ، وهنا يخدر الحزب نفسه بنفسه فيصيبه الضرر . لأن كتابه يقنعونه أن خطأه صواب !

والكاتب المستقل فى رأيى مفيد لحزبه وللعقيدة التى ينتمى إليها وأيضاً للعقائد المخالفة له . لأنه يرى الحقيقة . هذه الحقيقة تفيد حزبه وتفيد الآخرين .

وهذه القناعة أنا لم أتوصل لها بالتفكير أبداً . وإنما بالممارسة !! لأننى

عندما جلست أستعيد حياتى اكتشفت أننى عندما كنت أنتمى مثلاً لتنظيم حدتو كنت عضوا متعبا جداً لقيادته ! لانى لم اكن أريد ان التزم وكنت أريد التصـادم . واذكر مـرة اختلفت مع عبد الرحمن الخميسى (الكـاتب والشاعر) . كان له موقف سياسى معين وكنت ضد هذا الموقف ، ونحن كلانا فى نفس التنظيم . فهاجمته وهاجمنى فصرنا نحن الاثنين متعبين للحزب . إذ كيف ننتمى لحزب واحد وفى نفس الوقت يهاجم كل منا الآخر ؟

وعندما اصبحت امينا فى الاتحاد الاشتراكى العربى فى عهد الثورة كنت ايضاً عضوا متعبا جداً ، وبلغ بى الامر ان اهاجم ما يقوله الاتحاد الاشتراكى فى المجلة ، وفى الاجتماعات ايضاً لدرجة أنهم حبسونى !

● قلت من حبسك ؟

قال : شعراوى جمعة حبسنى !!

● قلت : وهل استمر نفس الموقف فى التنظيم الطليعى ؟

قال : نعم .. لانى طول الوقت اكتب ضد قيادته .. وارسل لهم فلا يردون . وفى النهاية توقفوا عن إرسال مجلة أونشرة التنظيم لى ثم ركنونى . ومن هنا اكتشفت أن الالتزام الأول للكاتب يجب أن يكون نحو القارىء ونحو الحقيقة .

وفى رايى أن هذا مفيد حتى للمبادىء التى يدعو إليها الكاتب . وفى اعتقادى أن اقيم وافيد ما يصل إليه الكاتب مهما تكن عقيدته السياسية أن ينتمى إلى الفكر السياسى ، ولا ينتمى إلى التنظيم الذى يدين بهذا الفكر . لان هذا التنظيم السياسى يعمل فى الشارع وهو يناور ويداور حسب الظروف ويتخذ مواقف تكتيكية ومواقف استراتيجية . واعتقد ان الكاتب يجب أن يكون مرتبطا بالاستراتيجية وليس بالتكتيك .

□ قرار لم يوقعه عبد الناصر .. □

سألته : كيف أصدر جمال عبد الناصر قرار تعيينك رئيسا .

قال لى ببساطة شديدة : عبد الناصر لم يصدر قرارا بذلك . وما حدث أن خالد محيى الدين تولى رئاسة مجلس إدارة «أخبار اليوم» وأتى معه على الشلقانى وسعد التائه الذى تولى رئاسة آخر ساعة ولم تكن تجربته فى آخر ساعة ناجحة ، بل كانت المجلة مستمرة فى التدهور !

وأصبح هناك صراع داخل القيادة الصحفية الجديدة . كان سببه تطرف رئيس التحرير نفسه الذى كان من وجهة نظره أن كل ما يكتب فى آخر ساعة لابد أن يكون سياسة فى سياسة .

وتحولت صفحات المجلة إلى حماسة وخطابة وسياسة وتحليلات . وظلت المجلة تنحدر عددا بعد آخر ، وذات يوم طلب منى خالد محيى الدين أن أتولى مسئولية آخر ساعة . وارسل خالد محيى الدين بمشروع قرار تعيينى رئيسا للتحرير إلى جمال عبد الناصر . وظل هذا القرار على مكتب عبد الناصر لم يوقعه إطلاقا إلى أن ترك خالد محيى الدين أخبار اليوم ، وجاء هيكل بدلاً منه . وتم تعيين يوسف السباعى رئيسا للتحرير ، وأنا مشرف على التحرير .

● **بدهشة سألت : هل حاولت معرفة أسباب عدم توقيع جمال عبد الناصر على هذا القرار ؟**

قال : مطلقا .. لأنى لم أكن مكترثا أصلاً بحكاية اللقب . كان اهتمامى الحقيقى أنى أعمل مجلة ناجحة .

● **قلت : نكتة مؤلمة سمعتها تقول إن الأستاذ هيكل قابلك ذات يوم**

وقال لك : عندى لك مفاجاة ، ماكينات جديدة لتنطلق صحفيـا . وبعدها فوجئت بفصلك !! هل حدث ذلك فعلاً ؟

ارتسمت ضحكة صافية على وجهه قال بعدها : فعلا .. حصل ما تقوله الآن !

● قلت : تفاصيل اكثر !!

قال : بعد فترة قصيرة من مجىء هيكل إلى أخبار اليوم . ذهبنا إليه فى مكتبه للتعارف ، وكنت وقتها مشرفا على تحرير آخر ساعة . وأذكر أنه قال لى يومها بجمله السريعة : اسمع ياصلاح .. انا عملتلك مفاجاة هايلة !! وسألته : مفاجاة إيه ؟ قال : أنا اشتريت لك مطبعة أحدث طراز فى أوروبا الآن .. وشد حيلك بقى .

ابتسم صلاح ثم أكمل : بعدها بقليل سافر هيكل فى رحلـة للشرق الاقصى .. وفى صباح اليوم التالى ذهبت إلى المجلة وفوجئت بخطابات تفيد اننا انتقلنا إلى المؤسسات العامة ـ كنا حوالى ٤٠ واحدا ـ اندهشت جداً من موقف هيكل . كيف يخبرنى أنه أحضر لى مطبعة جديدة فى نفس الوقت الذى يعلم فيه بخطابات فصلى من آخر ساعة .

● قلت للأستاذ صلاح حافظ : وتفسير ذلك فى رايك ؟

قال : محصلش بينى وبينه حاجة إطلاقا !! بالعكس ذات مرة كنت سهران فى آخر ساعة واحتجت لبعض الصور الفوتـوغرافيـة لتحقيق صحفى . فلم نجد فى أرشيف أخبار اليوم هذه الصور .. وأذكر اننى سألته إذا كان يوجد فى أرشيف الأهرام هذه الصور فنستعين بها ؟ ويومها قال :
ـ اسمع انا مبدئى ان المنافسة بين الأهرام واخبار اليوم cut throat compatition منافسة تصل لحد قطع الرقبة اومنافسة حتى الموت . لكن انا علشانك فقط ساعطيك الصور . إنما دى آخر مرة !

يضيف صلاح حافظ : لم يكن بيننا أكثر من هذا الموقف !! المهم بعد أن قرات خطاب النقل وكان مكتوبا بلهجة وقحة جداً . ذهبت إلى مكتب سعد كامل نلملم أوراقنا استعدادا للرحيل . وفجاة رن جرس التليفون . وفوجيء سعد كامل بأن المتحدث هو مكتب جمال عبد الناصر .. وأبلغنا أن الرئيس عبد الناصر الغى قرارات النقل وطلب أن نبقى فى مواقعنا وإلا ننفذ النقل إلى المؤسسات الاخرى .

دهش المحررون دهشة لا حدود لها : فقد كانت مسألة غريبة جداً . فقد كان معنى قرار عبد الناصر أنه يوجه ما يشبه الصفعة لهيكل وعلنا !! لأن هيكل لم يخبره بما فعل معنا .

بعد ذلك ذهبنا لمقابلة شعراوى جمعة وكان معى سعد كامل ، وقال لنا شعراوى جمعة : إن الرئيس عبد الناصر يعلم تماما الوطنيين .. وأريد أن اقول لكم : فتحوا عينكم كويس ، لأن هذا الرجل ـ وكان يقصد هيكل ـ لن يتورع أن يضع لكم قطعة مخدرات فى أدراج مكاتبكم !

□ منافسة قطع رقبة .. □

● قلت للأستاذ صلاح حافظ : وماذا جرى بعدها ؟

قال : فى تلك اللحظة بالضبط ادركت اننا كنا طرفا فى صراع علوى ـ صدام ترامويات ـ وإننا مجرد لعبة وفى نفس الوقت نحن لا نعلم ماذا يحدث فوق . بالنسبة لى كنت قد اتخذت قرارا بأن لا ابقى يوما واحدا فى اخر ساعة . ومع ذلك سأنتظر حتى يأتى هيكل من رحلته إلى الشرق الاقصى ، وأيضاً لأن عبد الناصر طلب أن نبقى فى مواقعنا !

فى نفس الفترة كان أحمد بهاء الدين قد ذهب إلى دار الهلال . وتحدثت

معه بشأن ذهابى إلى دار الهلال . وقال لى بهاء : أهلا بك فى أى وقت ياصلاح .

ثم أضاف أحمد بهاء الدين جملة مثيرة . إذ قال لى : لوتحب تأخذ رأيى ابق فى آخر ساعة حتى يرفتك هيكل ! إلى أن واحدا منكم يزهق التانى !! ماتزهقش أنت الأول ياصلاح .. وإذا زهقت تعال حالا .

كما قلت .. كانت أخبار اليوم بأكملها فى حالة دهشة مما حدث ، وفجأة كلمنا الأستاذ جلال الحمامصى وطلب مقابلتنا . وقال لنا أنا لا أوافق مطلقا على الخطابات التى تسلمتموها وارجوكم أعطونى هذه الخطابات وكأنكم لم تتسلموها .

قبل أن أعطى للحمامصى الخطاب قمت بتصويره حتى لا يقال إنه لم يحدث . كانت سطور الخطاب تقول فى وقاحة : « نخطركم بأنه تقرر نقلكم إلى المؤسسات العامة ونطلب منكم عدم الحضور إلى الدار ابتداء من اليوم » .

وعاد هيكل من الشرق الأقصى وأرسل فى طلبى ، وقابلنى بابتسامة قائلاً : أنت عارف إنى مش فى حل أقول لك المسألة دى حصلت إزاى . إنما اللى حصل mishandling سوء تصرف !

ويضحك صلاح حافظ معلقا : وكأن قرار نقلى أو فصلى أسرار حربية لا يريد هيكل أن يبوح لى بها فى الوقت الراهن !

وفجأة سألنى هيكل يومها : أفتكر إنك ذهبت لسامى شرف . وقلت له وكنت صادقا : سامى شرف .. أنا أسمع اسمه فقط ولا أعرفه . كان هيكل يريد أن يعرف إلى من ذهبت بالضبط من المسئولين . وأذكر أننى قلت لهيكل : يا استاذ هيكل .. الكواليس وما يجرى فيها مسألة غامضة جداً بالنسبة لى ، وخطوط الملعب مجهولة بالنسبة لى .. ولا أريدك أن تشرحها لى . لأننى ببساطة لا أفهم فيها . وسوف أنساها بمجرد خروجى من هنا .

□ نصيحة أحمد بهاء الدين .. □

استهوتنى التفاصيل المثيرة لما كان يحدث فى الكواليس .. ومثل طفل صغير مبهور بحواديت جده .. قلت : وماذا بعد ذلك .. هل تركت آخر ساعة بالفعل ؟

قال : فى ذلك الوقت كان المرحوم يوسف السباعى قد أصبح رئيسا لتحرير آخر ساعة ، وهو صديقى جداً . وهو رجل طيب ، وكان دائما يقول لى : أنا مش عارف ليه بتتعبوا نفسكم .. اللى عامل شيوعى .. واللى عامل اخوانى .. فيه ايه مزعلكم ! يوسف السباعى كان رجل أديب وفنان - رحمه الله - .. وقال لى يومها وهذا نص كلامه : اسمع ياصلاح إنت عارف كويس .. أنا لا علاقة لى بالمسائل دى كلها ، وبعدين أنا عبد الناصر جابنى ووضعنى فى المؤتمر الآسيوى الافريقى .. وزى شخص عمره ما لعب كورة .. إنما نزلوه الملعب .. تيجى الكورة أمامه لازم يشوط وخلاص .

انتابتنى أنا والأستاذ صلاح نوبة ضحك قال لى بعدها : وقلت ليوسف السباعى .. أنا لست مستاء على الاطلاق ، ولكنى لا أستطيع العمل فى ظل رجل - اقصد هيكل - لا يحبنى .. ومع ذلك .. سأبقى شهرا معك ، حتى لا يفهم اننى خرجت احتجاجا على تعيينك ، وبعدها سأكتب لك خطاب شكر .

وأرسلنى يوسف السباعى فى رحلة شهر إلى الهند ممثلا للمؤتمر الآسيوى الافريقى .

وبعد عودتى كتبت له خطاب شكر لأنى كنت أحبه فعلا وأحترمه وكان بيننا صداقة عظيمة ليس لها دعوة بالخناق والأفكار .

وعندما ذهبت لأحمد بهاء الدين كان قد تسلم روز اليوسف بجانب دار

الهلال .. طلب منى بهاء أن أفكر فى تطوير المصور ووضع أفكار صحفية جديدة .. وفجأة تكلم أحمد حمروش مع بهاء وقال له : كل شىء ماشى تمام فى دار الهلال ، وروز اليوسف محتاجة لصلاح وهو أساسا ابن روز اليوسف . وعرض على بهاء المسألة وما قاله حمروش .. فقلت له : اذهب إلى روز اليوسف .

□ أنا والسادات وروز اليوسف .. □

● قلت للكاتب الكبير صلاح حافظ : رحلتك فى روز اليوسف غرامك القديم وعشقك الذى لا حدود له . كيف كانت البداية ؟

قال لى : بعد حركة ١٥ مايو عام ١٩٧١ جاء الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى إلى روز اليوسف . كان رئيس التحرير وقتها هو الأستاذ أحمد حمروش وكنت انا نائبا لرئيس التحرير . وقام الشرقاوى بإقصائنا عن مناصبنا . بالطبع تفهمت ظروف المرحلة الجديدة . وقام الشرقاوى بتعيين زميلين هما يوسف صبرى وفهمى حسين لإدارة تحرير روز اليوسف ، وظل نفس الحماس السياسى مستمرا ، وأيضاً تصنيف البشر على أساس سياسى ، وهذا مناخ لا تزدهر فيه صحافة . وكان من الطبيعى أن يتأثر توزيع المجلة ويأخذ فى الهبوط . وصار الناس فى روز اليوسف فرقا متناحرة .

وذات يوم كلمنى الأستاذ الشرقاوى وقال لى : انا هاجيب فتحى غانم يمسك روز اليوسف . واذكر انى قلت له : وانا ممكن أساعده واشتغل معاه .

وبعد اسبوعين او ثلاثة كنت فى مكتب الشرقاوى ، وكان عنده أيضاً

الأستاذ فتحى غانم ، فقال لى الشرقاوى فجأة : إيه رأيك تشتغل مع فتحى على طول وتبقى رئيس تحرير معه ؟

وقلت للشرقاوى بدهشة : وهل استأذنت فى هذا القرار ؟

فقال بعصبية · أنت مالك ياأخى .. استأذن أو ما استأذنش !! أنا عينتك وخلاص .. يعنى هيرفتوك ؟!

بهدوء شديد يقول صلاح حافظ :

فيما بعد قال لى الأستاذ الشرقاوى ـ وأنا اصدقه تماما ـ أنه قام بتعيينى رئيسا للتحرير دون أن يقول لأحد ! وأن السادات قال له عندما أخبره بقراره : كويس إنك عملت كده ياعبد الرحمن !

وفى ذلك الوقت كان الرئيس السادات قد بدأ يدخل فى مرحلة التمايز عن عبد الناصر . أنشأ المنابر وبعدها الأحزاب .. ومن أجل أن يكسب أيضاً رصيد حرب أكتوبر ١٩٧٣ دخل فى مرحلة حرية الصحافة ، خصوصا أن اتجاهه السياسى لكسب أمريكا كان مما يخدمه أن يكون هنـاك نظام ديمقراطى ليبرالى .

المهم بالنسبة لنا فى روز اليوسف فقد كنا حكماء ، وتجنبنا الصدام المباشر مع السادات أو الهجوم عليه شخصيا . ولكن قلنا وكتبنا ونشرنا ما يعجبنا ضد جميع المسئولين الآخرين الذين اتخذوا القرار .

مثلاً هاجمنا رئيس للحكومة ممدوح سالم . هاجمنا رئيس الاتحاد الاشتراكى وقتها د . رفعت المحجوب . هاجمنا رئيس جامعة القاهرة وقتها د . صوفى أبوطالب .

ابتسم صلاح حافظ قائلا : كل هؤلاء هاجمناهم . أما السادات فقد وضعناه على جنب تماما ولم نقترب منه .. وكان هذا فى رايى صيغة جيدة فى أن نستغل المساحة الديمقراطية الموجودة . لانه من غير المعقول او المنطقى

أنك أول ما تبتدى الديمقراطية تـروح ماسـك سيف وتضرب صاحب التجربة . لأنه ساعتها هيرجع فى كلامه عن الديمقراطية .

يضيف صلاح حافظ قائلاً : ونحن فى روز اليوسف التزمنا بمبدأ بسيط للغاية ، وهو أنك تستطيع توسيع مساحة حرياتك بأن تمارسها دون أن تصطدم بالسادات نفسه ، وبدون أن تستفزه ، وإلى أن نتمكن من أخذ قاعدة ضخمة من الناس ، عندها يمكن أن تنقده ، وسيكون وقتها معك حماية الجماهير .

وهذا المنهج أعطى روز اليوسف وتجربتها فرصة الاستمرار ، وأن تدافع عن عبد الناصر وعن سلامة ذمته المالية .

كل هذا أعطى روز اليوسف مصداقية وجعل الناس تصدق ما تنشره ، وأنا أعتقد أنها افادت صورة مصر فى الخارج . فقد كانت كل الأنظمة العربية تقرأ روز اليوسف وهى غير مصدقة أن هذا شيء ممكن نشره فى مصر .. السادات كان يعتز بذلك جداً .

● قلت لصـلاح حافظ : هـل كـان السـادات سعيـدا بتجـربـة روز اليوسف قبل احداث يناير ١٩٧٧ ؟

قال : بدون شك.. وكان يبلغ الأستاذ الشرقاوى بهذا .. وكان عندما يتصل بنا تليفونيا فى روز اليوسف لأمر من الأمور كان يقول : شدوا حيلكم ياأولاد .. وما تخافوش من حاجة !

● عدت لأسال صلاح حافظ : هل طاف بذهنك ان تكون احداث ١٨ و ١٩ يناير هى نهاية تجربة روز اليوسف او على الاقل محاصرتها ؟

قال : عندما هبت الجماهير تدافع عن خبزها فى يناير ١٩٧٧ كان السادات يومها فى أسوان .. وهناك انضرب بالطوب فى طريقه للمطار ..

وهذه التجربة أصابته بفزع فظيع جداً .. وطار بطائرته من أسوان إلى سيناء ليكون بجوار الجيش . ويبدو أنه أحس بإحساس أنه هو وشاه إيران المطرود وأن النظام قد انهار .. فى نفس الوقت فسرت وزارة الداخلية هذه الأحداث على أنها من تدبير الشيوعيين واليسار .. ثم أعلن السادات سحب القرارات الاقتصادية . وتحدث مع الأستاذ الشرقاوى وقال له : ياعبد الرحمن بلاش إثارة فى الموضوع .

كان معنى كلام السادات ألا نقول الحقيقة ، ونترك الكذبة تنطلى على الناس ، ويظل الأبرياء فى السجون وكنا مؤمنين ببراءتهم ١٠٠٪ ومنهم زملاء لنا فى روز اليوسف مثل فيليب جلاب وزهدى ويوسف صبرى ورشدى أبو الحسن .

المهم عملنا اجتماع فى روز اليوسف حضره عبد الرحمن الشرقاوى وفتحى غانم وحسن فؤاد ولويس جريس وجمال كامل وأنا . وقررنا أن يكون موقف روز اليوسف هو إعلان الحقيقة كاملة . وكلفونى بكتابة التحقيق الصحفى حول هذا الموضوع .. وبعد أن قام الزملاء بتجميع مادة الموضوع . كان مانشيت الغلاف : أسبوع الحرائق . وكان عنوان التحقيق : الحكومة أشعلت الحريق والسادات أطفأه !! وكان من ضمن ما قلناه فى الموضوع :

« على أن من حسن الحظ أن الداخلية ليست هى التى تحكم مصر ، فلو أن رجالها كانوا المنفردين بالسلطة وتقاريرهم هى مصدر المعلومات الوحيد لكانت القاهرة الآن ، وتسع عواصم إقليمية أخرى أكواما من الرماد » إنما أنقذ الموقف تدخل «العقل السياسى » فى الوقت الحاسم وقرار الرئيس السادات بإعادة الأسعار إلى ما كانت عليه» .

وضحك صلاح حافظ وهو يقول لى : وأيضاً كانت الفكرة أن نجنب السادات ما حدث ، ولكن هذه المرة لم تفلح الفكرة . وأحس السادات أننا

تخلينا عنه وأن الشرقاوى طعنه فى الظهر ! لأن السادات شعر يومها أنها كانت لحظة طرده من السلطة ، وكان المفروض أن الشرقاوى يقف بجواره مثلما وقف معه يوم ١٥ مايو ١٩٧١ وكتب يقول : سقطت عصابة الإرهاب !

كان السادات فى حالة انزعاج شديد لما حدث ولم يكن فى حالة طبيعية . رغم أننا مكناش شايفين أنه سقط . لكن السادات نفسه كان يرى وقتها أن الحكومة سقطت وهو سقط .. فى نفس الوقت كانت تقارير جهات الأمن تؤكد له أن ما حدث سببه الديمقراطية والأحزاب والحرية التى سمح بها . وفى تلك اللحظة ارتد السادات عن الديمقراطية !

فى تلك الأيام قال السادات لعبد الرحمن الشرقـاوى : الشيوعيـين ضحكوا عليك .. وأيضاً صلاح حافظ ضحك عليك !! ورد عليه الشرقاوى قائلًا : بالعكس صلاح حافظ كان بيهدينى !

وطلب السادات من الشرقاوى أن يقيلنى من رئاسة التحرير !

فكان رد الشرقاوى عليه : صلاح حافظ يستنى وأنا أمشى .

الشرقاوى أخذ المسألة بأكملها على أنها مسألة شهامة ، وقلت له : أنا ممكن أسيب رئاسة التحرير ، وأنا لا يهمنى اللقب . لأن المهم أن تستمر تجربة روز اليوسف ودورها ليس كمنبر يسارى ـ مش عاوز أقول معتدل ـ ولكن منبر يسارى يدرك الممكن وغير الممكن ، ويخدم رسالة التنوير وذكر الحقيقة . وهذا يكفى جداً لرسالة روز اليوسف كجريدة . لأننا لسنا حزبيا !! لهذا يجب عليك البقاء . ولا يجب أن تطرد من روز اليوسف .. رفض الشرقاوى ذلك بإباء .

وبدأ عبد الرحمن الشرقاوى يقابل السادات ويبحث معه من سيأتى بدلًا منه فى روز اليوسف .. وفى كل مرة يأتى إلينا ومعه أسماء يطرحها علينا لنختار من بينها رئيس مجلس إدارة روز اليوسف .

اخترنا المرحوم مرسى الشافعى ، حيث كان لنا به صداقة قديمة تعود إلى

أيام جريدة المصرى . ثم إنه من السهل التفاهم معه ، لأنه مش جاى علشان يضرب روز اليوسف .

● **قلت : من كانت الأسماء الأخرى التى عرضها ؟**

قال : كان هناك ثروت أباظة وإبراهيم الوردانى . ووقتها أيضاً كان هناك نزاع وخلاف . فقد كان لسيد مرعى مرشحوه ، وكان لعثمان أحمد عثمان مرشحوه .

وعلى أية حال فالأستاذ لويس جريس رئيس تحرير صباح الخير الآن يعرف الأسماء بالضبط فقد كان وقتها حاضرا تلك الاجتماعات .

●

نظرت فى ساعة يدى .. كانت المساحة الباقية من شريط الكاسيت الخامس أربع دقائق .

خشيت أن تنتهى أحلى مبارياتى الصحفية مع الكاتب صلاح حافظ بالتعادل بدون أهداف . كثفت هجومى لأنهى المباراة .

قلت له : هل حقيقة روز اليوسف صودرت فى عصر السادات ؟! لماذا يلجأ الحكام والزعماء إلى كبار الصحفيين ليكتبوا لهم خطاباتهم ؟! سر المكالمات التليفونية التى تلقيتها ثلاث مرات من الرئيس السادات ؟ لماذا اتصلت بك السيدة جيهان السادات تليفونيا بعد صدور روز اليوسف ؟ سر غضب السادات من كاريكاتير للفنان حجازى ؟

ضحك مايسترو الصحافة المصرية وقال :

الوقت الأصلى خلص ..

■ الحوار الثالث ■



١٩٨٤/٤/١٩

يوليو وصراع الثقة والخبرة !

- رفضت أن تكون روز اليوسف لسان حال التجمع !
- إذا أحبك السلطان كرهك الناس ،
إذا كرهك السلطان قطع رقبتك !
- نظرية أهل الثقة خلقت صحافة يهمها كسب ثقة الحاكم !
- فوجىء المثقفون بمعاملة سخيفة من الثورة !

فى مارس عام ١٩٧٦ قرر الرئيس السادات إنشاء ثلاثة تنظيمات سياسية سرعان ما تحولت إلى احزاب ، وهى حـزب مصر ، حزب الاحرار ، حزب التجمع « الوسط ، اليمين ، اليسار » وترتب على ذلك إلغاء الاتحاد الاشتراكى العربى الذى كان مالكا للصحف .. وكانت إحدى الافكار المطروحة وقتها توزيع الصحف والمجلات على هذه الاحزاب .. وكتبت رافضاً ان تكون روز اليوسف هى الناطق الرسمى باسم حزب التجمع ؟!

قال .. نعم روز اليوسف ليست حزباً ولا نريد أن تكون حزباً ، نحن صحيفة .. منبر يقول ويكتب ما يؤمن أنه الحق ، وينور الناس بالحقيقة ، وبهذا لا يلبس الكتاب ثوبا ليس ثوبه ، وفى النهاية لابد أن يكون الحزب حزباً ، والصحيفة صحيفة ، والزعيم زعيماً ، والنقابى نقابياً ، والقائد قائداً ، والكاتب كاتباً !! كل واحد يؤدى دوره فى تخصصه ! وربما كان من مشاكل وعيوب الفترة الماضية كلها أن كثيراً من الكتاب ارتدوا ثياب الزعماء !

● **فاجأتنى الكلمات فقلت : اى كُتاب واى ثياب ؟!**

قال بحسم : إن الكاتب الممتاز يصبح رئيس تحرير صحيفة ويخوض معارك لا يخوضها سوى الزعماء السياسيين وليس الكاتب أو الصحفى ، الكاتب يجب أن يملك أن يقول عظيم جداً يافلان .. ياعبد الناصر أو ياسادات أو أى مسئول .. أو هذا خطأ غير مضبوط !! لأن الزعامة شيء والكتابة شيء آخر ! الكاتب ليس زعيماً . الزعيم ممكن يكتب ! ولكن الكاتب لا يتزعم ، فالزعامة مسئولية تستنفد كل الوقت الذى يحتاجه الكاتب لممارسة الكتابة ، والزعامة مسئولية وتفكير .. وتنظير وقيادة وإدارة وتوجيه وحشد .

الزعامة عملية كبيرة جداً تستنفد الوقت كلـه ، ولا يمكن أن تترك لصاحبها الفرصة لكى يتحول إلى كاتب ، الكتابة مسألة تانية خالص ، وأنا أفصل بين الزعامة والكتابة !! .. و .. و

فجأة قفز فى عقلى « مشروع سؤال » .. حول ما نعرفه من ان الزعماء كثيراً ما اعتمدوا على كتاب يصوغون افكارهم وخطبهم ! وقبل ان اطرح سؤالى استاذنته فى ان اقص عليه بعض ما لدى من حكايات قراتها .

اخذت اقلب فى كتاب « لمصر ـ لا لعبد الناصر » للأستاذ محمد حسنين هيكل ، ثم اخذت اقرا ..

« ولعلى لا اتجاوز حدى إذا قلت اننى المسئول عن صك عبارة وردت فى خطاب جمال عبد الناصر امام مجلس الأمة الذى انتخب على اساس دستور سنة ١٩٦٤ ـ والذى راسه انور السادات ـ والتى كان نصها « إن سيادة القانون لابد لها ان تعلو على مراكز القوة » !!

لم يعلق الأستاذ صلاح حافظ .. وقلبت صفحات اخرى من نفس الكتاب ثم استاذنته فى القراءة ووافق مبتسماً ثم اخذت اقول ..

« اتذكر يوم ٩ يونيو ١٩٦٧ .. كان عبد الناصر قد طلب إلى ان اعد له مشروع خطابه إلى الأمة بالتنحى ، وكنا قد تناقشنا فى الموضوع فى الليلة السابقة . وكان رايى متفقاً مع رايه فى انه يجب « ان يذهب » بعد ان صارت الامور فى ميدان القتال إلى ما صارت إليه .. ولم يكن فى مقدوره إنسانيا تلك الليلة مع احزانه وشواغله ان يجلس ليكتب خطابا ، فاتفق معى على نقاط وتعهدت أن أكتبه له .. ووصلت إلى بيته فى السابعة من صباح يوم الجمعة ٩ يونيو .. وجلسنا نراجع مشروع الخطاب الذى اعددته له ، ووصلنا فيه إلى عبارة تقول بالنص .. وفيما يتعلق به فإننى على استعداد لتحمل نصيبى من المسئولية .. »

كنت قد كتبت هذه العبارة ، وانا اعرف الظروف ، ولكن جمال عبد الناصر استوقفنى عندها وقال لى بالحرف : ما معنى ان اقول : « إننى على استعداد لتحمل نصيبى من المسئولية » ؟! وهز راسه نفيا قاطعاً ثم قال : لا ارضى ذلك لنفسى .. إننى تاريخيا اتحمل المسئولية كلها ، ويجب أن اقول ذلك للناس .

وغيرت النص بعد إصراره على النحو الذى رآه !!

● توقفت عن القراءة ونظرت إلى الأستاذ صلاح حافظ وكانت ابتسامته تزداد اتساعاً ثم قال : وماذا عندك ايضاً ؟!

● قلت له : عندى سطور من كتاب لصديقك الحميم جداً موسى صبرى وهو « وثائق ١٥ مايو » يقول فيها : دبرت مراكز القوى ان يفشل خطاب الرئيس السادات فى عيد العمال فى اول مايو ١٩٧١ ، طلب الرئيس من هيكل ان يعد له خطاب اول مايو ، واعطاه النقاط والموضوعات التى يريد ان يتضمنها الخطاب ، وقال الرئيس لهيكل :

وهناك فقرة منفصلة اريد ان اختم بها الخطاب عن صراع مراكز القوى ، وقرارى بان اطحن اى صراع ونحن نواجه معركة .. » .

اغلقت اوراقى المبعثرة وقلت للاستاذ صلاح حافظ .. لم يبق لدى سوى فقرة واحدة لها دلالتها ذكرها الاستاذ هيكل فى كتاب « وثائق تحقيق سياسى امام المدعى الاشتراكى » والذى صدر قبل رحيل الرئيس السادات وفيه يقول ص ٣١٤ ..

إننى فى هذه الفترة تشرفت بصياغة كل خطاب رسمى القاه -يقصد السادات -بل إننى توليت صياغة معظم خطاباته إلى رؤساء الدول ، وبينهم الرئيس الامريكى نيكسون والرئيس السوفيتى بريجنيف .. كذلك فقد كنت الشخص الذى عهد إليه الرئيس بصياغة خطابه التاريخى إلى مجلس الشعب وهو الخطاب الذى حوى شروطه للسلام .. » .

● خشيت أن ينفد صبر المايسترو صلاح حافظ فقلت له ..

● اتفق معك ان الزعامة شىء والكتابة شىء .. هل هذا يفسر اختيار جمال عبد الناصر وانور السادات لبعض الصحفيين وفى مقدمتهم هيكل لصياغة خطبهم وبياناتهم السياسية لان الكاتب اقدر على صياغة فكر القائد او الزعيم !

بعد لحظات من الصمت المتبادل القى صلاح حافظ بإجابته « اللغم » ..

- ده نفسه خطأ .. وخطأ فادح .. وفى رأيى أنه بشع !! لأنه يحول الكاتب من رجل يقول رأيه إلى حرفى ونساج ينسج خيوطاً وأفكاراً ليست أفكاره ! ويجعل الزعيم يقول كلاماً ليس كلامه !! ومن أسوأ الأشياء التى حدثت فى الفترة الماضية فى رأيى أن الزعيم يأتى بالكاتب ويقول له : اكتب لى هذه الخطبة !!

● قلت : وما الضرر فى ذلك !!

قال : إذا لم يكن الزعيم قادراً على أن يتكلم مباشرة إلى الناس ، وإذا كان فى حاجة إلى من يكتب له خطبة ، فليكتب له أعضاء مكتبه ! لأنه عندما يأتى بكاتب ضخم وعظيم ويقول له اكتب لى فهو يقهره . لأنه يجعله يتقمص شخصية الزعيم .

انا مثلاً لو أن عبد الناصر وأنا مؤمن به جداً قال لى اكتب الخطاب ده فبالطبع عندما اكتبه سيخرج فى النهاية مقالا لى وسيمزقه عبد الناصر لأنه لا يعبر عن تفكيره .

ابتسم صلاح حافظ وقال : إنما عارف لو فنان عاوز يكتب مذكراته فيجلس ويحكى لى وقائع حياته . أكتبها لأنها لن تكلفنى شيئاً ، كما أنها لن تكون باسمى بل باسم الفنان طبعاً !!

إنما زعيم يطلب منى أن اكتب له ، فهذا معناه أفكار وعقائد سياسية ، وقد لا أكون موافقاً على جزء منها .. طب أعمل إيه ؟! كيف أضع نفسى ككاتب فى عقيدة أنا لست مؤمناً بها ؟! هذا شىء سيىء !

□ بدعة فى حياتنا السياسية !! □

● سألت : تفسيرك لنشأة هذه الظاهرة ؟!

قال : هذه بدعة فى حياتنا السياسية لم تنشأ إلا بعد الثورة وذلك عندما ظهر زعماء بحكم طبيعتهم لم ينشأوا من الشارع الجماهيرى فلم يتدربوا على الخطابة ولم يتدربوا على الكتابة .. مثلاً عبد الناصر رجل ضابط عسكرى لا يعرف إلا كتابة التقارير العسكرية .. وممكن يكون محتاج لمن يكتب له .. وده فى العالم أيضاً .. ريجان لديه ناس يكتبون له .. ولكن هو صاحب التفكير .. وعندما يطلب منهم أن يكتبوا له ، فهو لا يعنى النص

الذى سوف يلقيه ، ولكن فقط المعلومات والبيانات والإحصاءات وعندما يخطب ريجان .. فهنا تجد شخصية وروح وأسلوب ريجان .. نفس الشيء يقال عن ميتران .. تاتشر .. إلخ !!

إنما أن يطلب الزعيم منى أن أكتب له نص الخطاب فهذا سببه قصور فى الزعامات الحديثة وفى تجربتها السياسية أن تتكلم مباشرة مع الجماهير ولو انك تذكرت خطب عبد الناصر أو السادات ، ستجد أن أضعف أجزائها هو الجزء الذى يقرأ من الورق .. وعندما كان عبد الناصر ينحى الورق المكتوب جانباً ويقول مثلاً : ولو أمريكا مش عاجبها البحر الأبيض تشرب من البحر الأحمر ، كان يحدث التهابا فى مشاعر الجماهير . لأنه هنا عبد الناصر الذى يتكلم وليس البوق .. وعندما كان السادات يفعل نفس الشيء ويقول مثلاً : الأفندية المثقفين .. وولادى اللى مرميين فى الصحراء بيدافعوا عن شرف مصر .. ـ وبصرف النظر عن رأيى فى الكلام ـ هنا كان السادات مؤثراً .

باختصار شديد .. كونك تبقى بوقا لشخص آخر فهذا صعب جداً ، ومؤلم للكاتب ، ثم ثماره فى النهاية صفر .

● **قلت : كنت قريباً من السادات بحكم المنصب .. الم يعرض عليك مسالة كتابة او صياغة إحدى الخطب ؟!**

قال : لم أكن أبداً قريباً من عبد الناصر أو السادات .. بالنسبة للسادات فقد كنت رئيس تحرير وبالطبع من وقت لآخر كان يتصل بى .

● **قلت : بشان ما ينشر فى روز اليوسف مثلاً .**

قال : أذكر أننى كتبت افتتاحية روز اليوسف وعنوانها السادات والتاريخ .. وكان من بين ماقلته .. فى زمن قياسى حقاً أنجز السادات ما وعد ! عبر بمصر حاجز الحكم المطلق ، أسقط نظرية التعارض بين الثورة



ـ لكن اللى يشوف الصورة دى يفتكـــر
ان الصين هى اللى محتاجه مســـاعدة !

كاريكاتير الفنان حجازى وملاحظة للسادات !

والديمقراطية ، وسلم مسئولية التقدم للشعب ، وبقيادته عبر الجيش قناة السويس وخط بارليف .. » إلخ .

واتصل بى السادات وقال لى عبر التليفون : أنا لم أقرأ روز اليوسف إلا دلوقتى .. وأنا ياصلاح نادراً ما بأنهز عندما أقرأ حاجة .. لكن مقالتك هزتنى قوى .. المقال ده جميل جداً وأنا بشكرك عليه وشدوا حيلكم !!

ثم فجأة قال لى السادات : خلى بالك ياصلاح وصحصح .. وماتخليش حد يفوت حاجة كده ولا كده ..

وسألت السادات : حاجة ايه ياريس ؟

فقال السادات : كاريكاتير حجازى .

وقلبت صفحات روز اليوسف وتأملت كاريكاتير حجازى ثم قلت للسادات .. ياريس أنت صحفى وعارف أن الكاريكاتير عبارة عن نكتة ، والتنكيت معناه المبالغة والتضخيم .

● **قلت لصلاح حافظ : هل كان فى لهجة الرئيس السادات شىء من الغضب وهو يشير إلى كاريكاتير الفنان حجازى !!**

ابتسم ثم قال : إلى حد ما .. لأن حجازى كان راسم راجل من العالم الثالث .. أنيق جداً وشيك جداً ووسيم جداً .. ويشبه السادات إلى حد كبير .. وبجواره رجلان من الصين أحدهما رئيس الوزراء ويرتديان الملابس الفقيرة .. ويقل أحدهما للآخر .. يبدو أن الراجل ده هو اللى حيسلفنا .. مش احنا اللى حنسلفه ؟!

ومرة أخرى اتصل بى السادات لمعرفة رأيى فى تنظيم الصحافة وملكيتها وذلك بعد إلغاء الاتحاد الاشتراكى .

● **قلت : ولماذا اتصلت بك ذات يوم السيدة جيهان السادات بعد صدور روز اليوسف ؟!**

قال وهو يضحك من أعماقه .. فجأة طلعت فكرة سخيفة جداً تنادى بعودة المراة الموظفة إلى المنزل وتأخذ نصف المرتب .. لقيتها فكرة سخيفة جداً .. طب ندى الستات نصف الماهية ليه إذا كانوا أصلاً ما انتجوش حاجة .. فكتبت أهاجم سخافة الفكرة .. فى اليوم التالى لصدور المجلة ، كلمتنى السيد جيهان السادات وأبلغتنى تأثرها الشديد وإعجابها بدفاعى عن المراة العاملة .. وإننى كتبت كلاما كان فى راسها وكانت تتمنى أن تقوله .

● سألت صلاح حافظ : لهذا فقط كانت المكالمة ؟!

قال : اذكر أنها اشتكت لى أن بعض المشايخ يشتمونها فى المساجد وأشياء من هذا القبيل !! وبس !!

● قلت : إذن انت لم تكن قريباً من السادات ؟

قال : ده صحيح .. وأنا دائماً كنت ابتعد عن الصلات بالحكام ، ويمكن ده راجع لحاجة ريفية قديمة تقول .. ابتعد عن السلطان .. لأنه إذا أحبك السلطان كرهك الناس .. وإذا كرهك السلطان سيقطع رقبتك !

□ أهل الثقة !! □

● قلت : بالمناسبة كيف تسللت نظرية « اهل الثقة » واهل الخبرة إلى مجال الصحافة ؟!

قال : اصبحت الصحافة جزءا من جهاز الدولة ، وبالتالى انعكس داخلها كل ما كان يجرى فى جهاز الدولة « مراكز قوى .. مراكز نفوذ .. اشخاص لا يمسون على صفحات الجرائد .. وآخرون كلمتهم نافذة فى

الصحافة) كان المنطق وقتها أن الشيء الذى يستعصى عليك علاجه يمكن علاجه بالجيش وأدواته مثلما حدث فى اضطرابات الإصلاح الزراعى .

ولكن أخطر ما أصاب الصحافة ليس الفوضى والاضطهاد ، لأن هذا كان موجوداً فى معظم المرافق ، إنما أخطر ما أصاب الصحافة المصرية أنه أصبح من الممكن النجاح صحفياً بأدوات ووسائل غير صحفية ، كان من الممكن أن تصبح رئيساً للتحرير ليس لأنك حققت خبطة صحفية ممتازة أو لأنك مدير تحرير كفؤ .. أو .. أو .. ولكن لمجرد أن تنتمى لشلة المشير عبد الحكيم عامر أو صلاح سالم مثلاً وتسهر معهم وتتحدث باسمهم ، كان هذا كافيا لتصبح رئيساً للتحرير او صحفياً كبيراً .

وماطبقته الثورة فى جهاز الدولة وهو أهل الثقة أهل الخبرة صار مطبقاً أيضا فى مجال الصحافة . فأصبح فى الصحافة أيضاً أهل الثقة لا أهل الخبرة .. بالطبع كان هناك مبرر ثورى لدى الثورة ، وهو أنها ثورة وتريد المخلصين لها لكى يؤدوا مهامها .

ولكن تطبيق هذه النظرية ـ أهل الثقة ـ فى مجال الصحافة أدى إلى رد فعل عكسى فى صفوف الأجيال الصحفية الشابة ، وكان الثمن هو تربية أجيال صحفية تسعى لا إلى اتقان المهنة والتجويد فيها ، ولكن إلى ثقة الحاكم أو المسئول ..وكان هذا على حساب الصحافة كمهنة ورسالة أوحتى كصنعة !!

● **قلت : الآن ما رأيك فى قانون الصحافة الذى صدر عام ١٩٦١ !! هل كان ضرورة صحفية وقتها .. أم كان ذلك ضرورة للثورة نفسها ؟!**

قال : نعم كان له ضرورة تخص النظام نفسه ، لأن النظام لم يكن عنده حزب ! وجميع المثقفين المصريين كانوا موزعين على الأحزاب رغم إلغائها فعليا ، فقد كان هناك المثقف الإخوانى . والمثقف الليبرالى ، والمثقف

الماركسى والمثقف الوفدى . بينما لم يكن هناك مثلاً « مثقف جيشى » أو مثقف « ضباطى أحرارى » ، وربما كان ذلك هو السبب المبكر جداً للصدام بين الثورة والمثقفين .

كانت المشكلة أن الثورة تريد من يعبر عنها .. وفى نفس الوقت لم يكن لها تاريخ ، وبالتالى لم يكن لها منبر .. ومن هنا لم يكن للثورة مثقفون !!

وكانت الصحف أيضاً موزعة نفس التوزيعة السابقة ، ولها عقائدها السياسية الثابتة .. اخبار اليوم مثلاً ترى أن نظام راس المال الحر هو أفضل نظام !! وكان « المصرى » قبل إغلاقه يعبر عن وجهة نظر الوفد .

ومن هنا فكرت الثورة أن يكون لها صحافتها الخاصة . فى البداية صدرت مجلة « التحرير » عن إدارة التوجيه المعنوى فى القوات المسلحة وراس تحريرها « احمد حمروش » وهو أحد ضباط يوليو .. وقد استعان فى إصدارها بأسماء صحفية هى : حسن فؤاد ، يوسف إدريس ، مصطفى بهجت بدوى .. وكانت المجلة ناجحة بالفعل ، ولأول مرة تصدر مجلة ولا يتصدر غلافها الفتاة الحلوة بل يتصدرها فلاح يحمل الفأس . وصمم هذا الغلاف ورسمه الفنان « حسن فؤاد » .

لكن كانت المجلة أيضاً يسارية الطابع . وفزعت الثورة فعزلت أحمد حمروش من رئاسة التحرير وعينت د . ثروت عكاشة وهو أيضاً من ثوار يوليو . وكانت صراعات وأزمات الثورة تدور داخل رأسه لأنه شريك فى هذا الصراع .. وشيئا فشيئا اكتشف ثروت أن هؤلاء الناس « أى الجيش » يتصرفون تصرفات خاطئة .. وفجأة صدر قرار بإقصائه .

ثم قررت الثورة أن تقتحم مجال الصحافة اليومية . فأصدرت « الجمهورية » . ولم تكن تجربة ناجحة ، صدرت فاشلة لأنها صدرت فى احضان الثورة . رغم انه كان يكتب بها ألمع الكتاب والصحفيين ، ولكنها

ظلت فى النهاية جريدة عبد الناصر الخاصة التى يقرأها كل صباح . وكانت أصابع الثورة تتدخل فى كل صغيرة وكبيرة فيها .

وظلت جريدة الأخبار هى الناجحة وكذلك الأهرام .. وعندما قرر عبد الناصر أن يجعل هيكل مسئولاً عن الأهرام ، فلا تنس أن هيكل كان أحد الكوادر الصحفية القديمة ، لأن هيكل لم يكن كاتب الثورة عندما قامت فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ولكنه كان وقتها رئيس تحرير آخر ساعة ، وأحد نجوم مدرسة أخبار اليوم ، ومن هنا فإن افتقار الثورة إلى المثقفين هو الذى جعلها تسيطر على الصحافة .. فلم يكن عبد الناصر مثلاً ـ قبل صدور قرار تأميم الصحافة ـ يستطيع أن يطرد صحفياً من صحيفته إلا إذا قرر حبسه . أما بعد التأميم فقد صارت الصحافة ملكه ، ومن هنا صار بإمكانه أن يمنعه من الكتابة دون الاضطرار إلى حبسه .

وأعود فأقول أنه حتى ذلك التاريخ أيضاً كانت الأزمة بين الثورة والمثقفين قد بلغت أقصاها . قالت الثورة .. « الدستور » . ثم فوجىء المثقفون بالثورة تلغيه .. نادت بالحرية وبدأت فى حملة الاعتقالات .. هذا غير سخافات لا مبرر لها .. كان يتسلم توفيق الحكيم إنذارا بالرفت لأنه لا يذهب إلى عمله فى دار الكتب فى موعده .. وأهين القانون الكبير د . عبد الرزاق السنهورى .

فوجىء المثقفون بمعاملة سخيفة من جانب الثورة كانت أكثر مهانة وإذلالا مما كان سائداً أيام الاحتلال الانجليزى والملك نفسه ! ثم جاءت محاكمات الثورة . وكانت محاكم مضحكة فعلاً ، يرأسها ضباط .. يلبسون ثياب القضاة فتبدو واسعة عليهم .

كل ذلك التاريخ سبب « حزازة » حقيقية بين المثقفين وبين الثورة . ولم تكن حزازة سياسية ، فقد كانت أشبه بالثأر الشخصى . وذلك لم يعط الفرصة الكافية للمثقفين للتأمل الهادىء والموضوعى .

ذلك كله أدى بالمثقفين إلى أن يركزوا فى أحاديثهم وكتاباتهم على الأخطاء والسلبيات ، والمثقفون بطبيعتهم يصوبون أنظارهم دائماً إلى الأخطاء من أجل إصلاحها .. فما بالك إذا كان المخطىء ، وهو الثورة ، يهينك فى كل لحظة .. ويحاول النيل منك بشتى الطرق !

وبدأ بعض المثقفين يقارن بين ماكان يحدث قبل الثورة أيام الملك والانجليز ، وبين ما حدث بعدها ، فكانت الصورة أمامهم متناقضة تماما . وفى هذا المناخ لم يكن هناك من يكتب ويحلل فى هدوء ويقول إن هذه ثورة تهدم نظاما قديما وتبنى نظاما جديدا ، وأن من ضرورات الثورة أن يحدث كذا وكذا ..

واعتقد أن استمرار هذه الخصومة بين الثورة والمثقفين هو الذى ألجأ الثورة إلى أن تسيطر على الصحافة بشكل كامل .

● **سألت صلاح حافظ : وحتى بعد صدور قرار تنظيم الصحافة فإن الثورة استعانت بنجوم صحافة ما قبل يوليو ١٩٥٢ وهم ملاك وأصحاب هذه الصحف مثل مصطفى وعلى أمين وإحسان عبد القدوس .**

قال ضاحكاً : وهذا أيضاً كان من باب أن الثورة مضطرة ومجبرة لأن الثورة كما قلت لم يكن لديها مثقفوها الذين يمكن أن يحلوا محل هؤلاء كما أن الثورة من خلال تجاربها فى إصدار صحف ومجلات خاصة بها مثل « التحرير .. الجمهورية .. المساء » لا تعرف كيف تدير صحيفة أو كيف تروجها ليكون لها تأثير على الناس . ومن هنا استعانت بكل الأسماء التى ذكرتها .. وصاروا موضع ثقة عبد الناصر .. بل إن عبد الناصر هو الذى سعى لكى يجعل هيكل مسئولاً عن الأهرام .

□ صحافة الأحزاب : أمس واليوم !! □

● قلت : عاصرت الصحافة الحزبية قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ وعملت فى بعضها .. ما الفرق بين هذه الصحافة وصحافة الاحزاب هذه الأيام ؟!

قال لى صلاح حافظ : الفرق الواضح جداً ـ والذى لا يعرفه جيلك بالطبع ـ هو أن صحافة الاحزاب زمان كانت صحافة مكتملة . فقد كانت الجريدة تتضمن الأخبار التى تهم القارىء أو المواطن العادى ومواعيد الصلاة والإعلانات المبوبة وطلبات الوظائف . ومن الممكن أن يغلق الحزب أبوابه ، ومع ذلك تستمر الجريدة فى الصدور . ويشتريها الناس ، لا لأنها جريدة الوفد أو الأحرار الدستوريين ولكن لأنها صحيفة بكل معنى الكلمة . بل كانت هذه الصحف قادرة على الصدور والحياة بغير وجود الحزب !!

اما صحف الاحزاب الحالية فهى نشرات للحزب و ٩٠٪ من صفحاتها هى رأى الحزب فى كذا وكذا وكلها مقالات .. مقالات .. مقالات تدافع عن سياسة الحزب وتحرض الجماهير على الوقوف معها ضد الاحزاب المنافسة .. ولا يوجد بها خدمة صحفية واحدة .. يبحث فيها القارىء عن برنامج التليفزيون فلا يجد .. اسعار الذهب أو البورصة أو حالة الطقس فلا يجد شيئاً .. فهى بهذا المعنى نشرات سياسية يعبر بها الحزب عن وجوده وكيانه .

والسبب فى هذا الفرق بالطبع ، إن الحزب فى الماضى كان حزبا بالفعل ، وموجوداً بدون الصحيفة ، وللحزب رئاسته ولجانه فى الأحياء وله انصار . ثم يأتى فينشىء جريدة أو يشترى جريدة قائمة بالفعل . فحزب الوفد مثلاً كان لديه جريدة « صوت الأمة » ثم تنشىء أسرة أبو الفتح جريدة

« المصرى » وتكون معبرة عن الوفد ، ولكن يكون لها أيضاً قدر من الاستقلال . ويغضب الوفد من الجريدة مثلاً فيعلن مصطفى النحاس أن المصرى لم يعد يعبر عن سياسة الوفد .. وهكذا .

إذن كانت الأحزاب أحزابا ، وكانت الصحف صحفا . كل منهما كيان لديه قائم بذاته ، ثم توجد علاقة بينهما . أما اليوم فالوضع مختلف . ولا تستطيع أن تقول إنه عندما أنشئت المنابر ثم الأحزاب مضى الوقت الكافى لكى يكون لهذه الأحزاب قواعدها الجماهيرية الحقيقية ، ومن ثم تنظيمها الحقيقى ، إذا أخذنا فى اعتبارنا الاضطهاد الذى تعرضت له ، وارتداد السادات عن فكرة الديمقراطية ثم عودتها من جديد . لهذا أقول إن أحزابنا لم توجد بعد فى الشارع . ولم توجد كتنظيمات مادية لها قوة . ومن هنا فإن مظهر وجود الأحزاب هذه الأحزاب هو الجريدة . ولذلك يقال عن بعض هذه الصحف أنها صحيفة بلا حزب ! وليس غريبا أن تكون الصحيفة الحزبية الآن هى ميدان النشاط الحزبى الوحيد لبعض الأحزاب .

فما كان المفروض أن يقوم به الحزب من نشاط ومهام فى الشارع صارت تقوم به صحيفته !

ولذلك تجد أن من يشترون الصحف الحزبية لا يستطيعون الاستغناء عن شراء الأهرام أو الأخبار أو الجمهورية مثلاً . لأن هذه الصحف تؤدى خدمات لا تقوم بها أو تؤديها الصحف الحزبية .

ويضحك صلاح حافظ وهو يقول لى :

إذا قررت فجاة مثلاً أن أكتفى بالأهالى أو الشعب أو الأحرار لن أستطيع أن أقرر هل أسهر أمام التليفزيون أو الأفلام المعروضة فى دور السينما .. ومن هنا سأضطر أيضاً لشراء الأهرام مثلاً أو الأخبار لأعرف منها ما أريد معرفته من معلومات .

□ أنا والرقابة .. □

● **قلت : متاعبك مع الرقابة ؟!**

قال : أنا لا أتذكر ظروف الاتصالات بالضبط ، لسبب بسيط أنني - بيني وبين نفسي - كنت قد اتخذت قرارا وهو ما يبلغه لنا مكتب الصحافة في التليفون أو حتى الحكومة هو مجرد توصيات وليس قرارات ملزمة . كما أننا مجلة ليست خاضعة للرقابة لأن الدولة ألغت الرقابة على الصحف . بعد ذلك إذا تصل مسئول في الدولة وقال بلاش الشيء الفلاني ينشر !! أناقش بعقلي ما تقوله فإذا اقتنعت بوجهة نظر الدولة . لا أنشر . أما إذا لم أقتنع فهنا أنشر على الفور .

وأنا اعتقد أني في حالة وجود الرقابة الرسمية فإن الكل خاضع لها وهذا نظام مريح جداً . لأن عندك في المجلة رقيب لديه تعليمات مكتوبة ، وتصبح المسألة بعد ذلك هي أنت وشطارتك وكيف تتحايل عليه أو تضحك عليه وتنشر ما تريد ، لكن بعد الغاء الرقابة ، فأنا رأيي أنه ما بقي من الرقابة في الصحافة هو ما يتطوع به رئيس التحرير ، لأنه المتطوع بهذا .

● **قلت : ورغم ذلك فقد صودرت روز اليوسف ذات مرة ؟! وخرجت صحيفة الأهرام تحمل في صدر صفحتها الأولى سطوراً تقول إن روز اليوسف تحتجب عن الصدور لعطل فني !!**

قال : هو كان عطل فني وليس عطل فني .. والذي حدث أن السفير المصري في لندن وقتها وكان الفريق « سعد الدين الشاذلي » أجرى معه حوار في التليفزيون .. وفي نفس الوقت أجرى حديث مع السفير الإسرائيلي وقتها . المهم أننا ترجمنا الحديث كاملاً وقررنا نشره في روز اليوسف .. في نفس الوقت على ما أذكر كانت هناك مفاوضات فك الاشتباك بين مصر

وإسرائيل . المهم أنه طلب منه إرجاء نشر الحديث .. واقتنعنا من منطلق أن ذلك قد يضر بموقف المفاوض المصرى .. بالطبع كان هناك استحالة فنية وطباعية لأن نستبدل الحديث المنشور بمادة أخرى . وأبلغنا ذلك المسئولين ونشرنا الخبر فى الأهرام أن روز اليوسف لن تصدر هذا الأسبوع لأسباب فنية !

بعد ذلك بفترة قصيرة سافر إسماعيل فهمى وزير الخارجية إلى موسكو لإجراء مفاوضات مع السوفييت . وكنت معهم فى تلك الرحلة . ونحن فى الطائرة جاء ذكر حكاية عدد روز اليوسف فقال لى بمنتهى الراحة النفسية وبهدوء شديد : الحقيقة قالوا لى على موضوع روز اليوسف .. فأنا قلت بلاش نشر الموضوع .. فلما قالوا ده صعب فنيا قلت لهم بسيطة العدد ماينزلش السوق يتصادر ..

ويكمل صلاح حافظ : وقلت له يومها .. ياريت كانت روز اليوسف اتصادرت أنا لو أعرف كده كنت نزلت المجلة السوق وتركته يصادر بمعرفة الحكومة .. وساعتها تقدر تعرف قيمة الصحافة وبالتحديد قيمة روز اليوسف !

●●

كنت أتصور أن حوارى مع صلاح حافظ قد انتهى .. ولكنى اكتشف أنه لم يبدأ إلا منذ لحظات كان لدى سؤالان بالضبط : وتصورت أن الإجابة عليهما لن تستغرق سوى سطور قليلة .

خطيئة اليسار .. خصوم يوليو .. فؤاد سراج الدين وسر تحالفه مع الإخوان .. الناصرية .. الساداتيه .. عصر مبارك .

وتحدث صلاح حافظ لثلاث ساعات متصلة ..

■ الحوار الرابع ■



٢٦/٤/١٩٨٤

الوفد وخصومة يوليو !

- مبادىء عبدالناصر أو السادات لا تشكل نظرية سياسية !
- مأزق الصحافة القومية من صنع الدولة !
- إذا لم يقتنع الرئيس بما أكتب فهذه ليست كارثة !
- مهمة الصحفى دائما : التنوير والتثقيف لا رضاء الحاكم !
- كل أعداء الثورة انضموا لحزب الوفد !

● الناصرية .. الساداتية : غير مصرية

● قلت : منذ رحل جمال عبدالناصر مساء ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ بدأ يتردد فى الساحة السياسية المصرية وايضاً العربية مفهوم جديد هو « الناصرية » وايضا بعد رحيل انور السادات ظهر ٦ اكتوبر ١٩٨١ بدا يتردد مفهوم « الساداتية » .

واريد أن اسال ماذا تعنى هذه المفاهيم لديك ؟! هل هى نظريات سياسية .. ام مجموعة مبادىء سياسية ؟! ماذا تقول انت ؟!

قال لى : هذا النوع من الكلمات هى كلمات غير مصرية أصلا !! ولكنها أساسا من صياغات حزب البعث . ومن أفكار البعثيين تحويل أية مجموعة افكار وتصك لها لفظ يضمها .

المصريون مثلا كانوا يقولون فيما مضى مبادىء « سعد زغلول » ولو كان حزب البعث موجودا وقتها لأطلق عليها لفظ « الزغلولية » هنا المسألة صيغة لفظية .

وعندما تقول لى « الناصرية » سوف أقول إننا لو كنا نحن الذين قمنا بصك اللفظ لقلنا مبادىء عبدالناصر .. ونفس الشيء لقلنا عن الساداتية أنها مبادىء السادات .

● قلت : إذن هي ليست نظريات ؟!

قال بحسم : أنا لست مؤمنا بمحاولة جمع أى كمية من الأفكار وإعطائها صفة النظرية .. فمثلا عندما أقول الرأسمالية فهى نظرية كاملة فى الاقتصاد وتقول : الاقتصاد الحر والسوق الحرة تؤدى إلى إنتاج أكثر . والماركسية أيضا نظرية ترى أن تاريخ العالم هو تاريخ الصراع بين الطبقات .. و .. و ..

أما مبادىء عبدالناصر أو السادات فهى مجموعة أفكار ، وهي فى الواقع برنامج عمل ولا تشكل نظرية متكاملة .

مثلا عندما ينادى عبدالناصر أن مصر تحتاج إلى إلغاء الإقطاع وإنشاء القطاع العام والتحرر الاقتصادى من الاستعمار ومجانية التعليم « إلخ » هذا برنامج وطنى واجتماعى ، ثم إنه برنامج استمد جذوره من النظريات الكبيرة القائمة ، وقد اختار منها عبدالناصر خطة عمل لينهض بالمجتمع المصرى ويحرره ، وهذا كله ليس نظرية إنما خطة عمل عبدالناصر .

وعندما نأتى لما يقال عنه الساداتية فأنا أرى أن خطة ومبادىء السادات كان يرى مثلا أن التحالف مع العالم الاشتراكى غير مفيد والأفضل الانفتاح على الغرب ..كان أيضاً يرى أن الديمقراطية أفيد لمصر لأنها تعالج أخطاء الفترة الماضية .. الانفتاح الاقتصادى لتشجيع رءوس الأموال المصرية وتخرج من مخابئها .. هذه كلها خطة عمل وليست نظرية .

باختصار يا صديقى كان عبدالناصر يريد التحرر الوطنى والنهضة

الاقتصادية فرسم خطة عمل معينة ، أما السادات فكان يريد الوصول إلى نفس أهداف عبدالناصر ولكنه بطريقة أخرى وليس الآن وقت الحكم من أخطأ ومن أصاب !!

● **قلت : فيم الخلاف والصدام إذن ؟!**

قال : الناصريون والساداتيون مختلفون فى الواقع حول الخطة التى توصل المجتمع إلى هدف معين .. وكان منهم لديه اجتهاد .. وهى كلها اجتهادات فى إطار نظرية واحدة هى نظريـة التحرر الـوطنى والعدل الاجتماعى ، وليست نظرية التحرر الوطنى من ابتكار عبدالناصر لأنها كانت نظرية سعد زغلول ، وغاندى وماركس .

ثم إن النظريات لا تولد كل يوم ، ولا تولد نظرية جديدة مع مجىء كل حاكم جديد . كما أن السبب لاعتقادى أن الناصرية أو الساداتية ليست بمثابة نظريات ، ليس قصور عبدالناصر أو السادات ، إنما لأن النظريات لا تظهر إلا على أيدى الفلاسفة ، وهم وحدهم الذين يخترعون أو يكونون النظريات وليس الثوار أو الزعماء أو الحكام أو القادة !! وربما كانت مكانة شخص مثل ماركس فى التاريخ ليست مستمدة من كونه زعيما .. فهو لم يكن زعيما وإنما فيلسوفا .

● **قلت : ألا يمكن اعتبار كافة المواثيق التى صدرت فى مصر منذ الثورة وحتى رحيل السادات بمثابة الإطار النظرى لكل من الناصرية أو الساداتية ؟!**

قال المايسترو : أى مواثيق تقصد ؟

● **قلت : فى عهد عبدالناصر ظهرت فلسفة الثورة ثم الميثاق ثم بيان ٣٠ مارس وفى عصر السادات ظهرت ورقة اكتوبر مثلا .**

اليس كل منها نظرية كما يرى البعض ؟!

قال بحسم وحدة : كل ورقة من هذه الأوراق التى ذكرتها الآن كانت موقفا تكتيكيا فى وقت من الأوقات . وطابعها عملى بحت ، ولم تتضمن تغييرا لنظرية قائمة بالفعل ، أو ارتداداً ، على نظرية موجودة ووضع نظرية جديدة . هذه كلها كانت خططا للعمل ..

هذا موقف عملى وليس تغييرا ، وبالتالى لا أستطيع ان اقول إنه نظرية .

● **قلت : ما هذه الضجة المثارة حول حزب الوفد الجديد حتى وإن المرء يتصور انه عاد وفى يديه عصا سحرية تحل مشاكل مصر ؟!**

قال : ليس فى يد الوفد حل اى شىء ! ومنذ بداية ظهور حزب الوفد الجديد فى أواخر السبعينيات ثم إلغائه ثم عودته أخيراً فقد اثار الاهتمام .

● **قلت : لماذا ؟!**

قال : أثار الاهتمام لانه كان اول حزب يقوم بعمل حركة وصل بماضينا ! لأن من أخطاء ثورة يوليو انها حاولت بشكل مستمر أن تقول لنا : إن بداية التاريخ المصرى هو ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وجود الوفد أشاع لدى الناس أننا لسنا لقطاء .. وان لنا « أب » وأن ثورة يوليو لها اب ، دى كانت نقطة الجاذبية والأهمية التى جعلت ظهور الوفد حادثاً هاماً .. وهذا ايضا ما جعله مختلفاً .

ولكن عندما نزل الوفد إلى أرض الواقع وبدأ يعمل ويعلن عن نفسه ويرسم سياسات .. و .. و اتضح انه بصورته الحالية هو جبهة لخصوم ثورة يوليو جميعا على اختلاف فئاتهم والوانهم .

● **قلت مندهشا : ما تفسير ذلك !**

قال : الذى هو خصم لثورة يوليو لأنها أضرت به .. فتح الوفد له أبوابه ! والذى هو خصم لثورة يوليو حول قضية الديمقراطية وضد الحكم الفردى .. انضم للوفد ! والذى هو خصم لثورة يوليو لأن عبد الناصر سجنه وعذبه - الإخوان المسلمين مثلا - انضم للوفد .

باختصار يا صديقى الشاب - الوفد يتبلور الآن كالجبهة المعادية لثورة يوليو .

● **قلت : ولكن قيادته تقول إن المكاسب التى نالها العمال والفلاحون لن تمس .. و**

قاطعنى المايسترو قائلا : نعم سيقول الوفد هذا وأكثر بل سيدافع عن القطاع العام ولكن انظر إلى التشكيل لتعرف من هو الوفد بالضبط ؟! ستجد أنهم خصوم للثورة من زاوية الديمقراطية أقصد القصور الديمقراطى للثورة ! خصوم للثورة من ناحية الإساءة والإضرار والسجن .

● **قلت ما أهمية الوفد إذن ياسيدى ؟!**

قال : أهمية الوفد تنبع من أنه المعارضة الحقيقية لثورة يوليو ..

● **قلت : إذن ماذا تقول عن الأحزاب الأخرى والتى نسميها المعارضة : العمل ، الأحرار ، التجمع ؟!**

قال : الوفد هو المعارضة الحقيقية وليست أحزاب الأحرار والعمل والتجمع كما تقول .

● **قلت : ولماذا يا أستاذ صلاح ؟!**

بنصف ابتسامة وثقة كاملة أجابنى : لأنهم من أبناء ثورة يوليو ، والمعارضة بينهم وبين الحكومة هى معارضة داخل معسكر يوليو .. هى

خلافات بين الحكومة وثلاثة أحزاب ترفع كلها شعار ثورة يوليو ، وهى لا ترفعه كذبا .. لأنها من نتاجه .. باختصار أسرة ثورة يوليو فى خلاف مع بعضها ، الحكومة فى جانب والأحزاب الثلاثة الثورية الناصرية فى جانب آخر .

ولو حكم أى منهم مصر لواصل رسالة يوليو ، وحافظ على القطاع العام ، وحافظ على حقوق العمال والفلاحين .. إلخ .

☐ الوفد و « بتوع » يوليو !! ☐

● **اعترف ان الدهشة احاطت بى .. وعندما تخلصت من دهشتى قلت : ولكن ما يدعو للعجب ان احزاب المعارضة رحبت بعـودة الوفد .. !**

قال : ولو أن هؤلاء ارادوا أن يتحالفوا مع الوفد فهو الذى سيرفض وليست صدفة أن الوفد ينظر إلى هذه الأحزاب على أنهم « بتوع يوليو » الذى هو ضدها .. وليست صدفة أن يتحالف الوفد مع الإخوان المسلمين لأنه ببساطة فإن الاخوان هم الخصوم الحقيقيون لثورة يوليو مثل الوفد تماما ! إذن فليس هناك صدف .. والواقع يفرض هذا .

وما يلفت النظر فعلا أن معارضى ثورة يوليو ادركوا ذلك بسهولة ، فإن أبناء يوليو لم يدركوا هذا ولم يتحالفوا ، لأنه كان من الطبيعى عندما يتحالف خصوم يوليو ويعملون حاجة اسمها « الوفد » فعلى أبناء يوليو أن يتحالفوا كان المفروض أن ترى هذه الأحزاب الثلاثة (التجمع ، العمل ، الأحرار) والحزب الوطنى ينزلون الانتخابات البرلمانية بقائمة واحدة . يسندون بعضا ، يؤيدون بعضا ، لأنهم حقا الحريصون على بقاء ثورة يوليو !

بحماس لا يخلو من الانفعال قال : كلهم يا أخى كانوا فى الاتحاد الاشتراكى .. كلهم كانوا يشتغلون أيام عبد الناصر .. كلهم كانوا فى مواقع المسئولية .

● **قلت : لماذا لم يحدث ؟!**

قال : المؤسف أن المعارضة أدركت .. بينما الثورة لم تدرك وانشغلت بخلافاتها التى هى ثانوية عن التناقض الرئيسى الذى بين ثورة يوليو وبين خصومها القدامى .

قلت : رغم ان الوفد هو خصم يوليو الحقيقي ، هل يمكن ان تكون له ارضية فى الشارع السياسى المصرى ؟!

قال : نعم ستكون له أرضية .. وحوالى ٢٠ ٪ من هذه الأرضية سيكسبها بحكم الاتصالات والخبرة والاحتكاك بالشارع بتاع الإخوان المسلمين و ٨٠ ٪ بحكم تمزق جبهة يوليو ورفضها للمواجهة الموحدة لهذا الخصم ! ونسوا صلة الرحم التى تربطهم بيوليو ، وحينزلوا يضربوا بعض فى الانتخابات المقبلة ، ويكون هذا لصالح خصوم ثورة يوليو .

□ هل انتهت الثورة !! □

● **قلت للأستاذ صلاح حافظ : كثير من الكتابات السياسية المنتشرة هذه الأيام تشير إلى ان ثورة يوليو انتهت برحيل آخر فرسانها عبد الناصر ثم السادات .. وأن الرئيس مبارك هو جيل اكتوبر وشرعيته ! هل بالفعل ماتت الثورة وانتهت ؟!**

قال : يبدو أنه سؤال فلسفى « شوية » هذا الذى سألته لى !

● **قلت : لماذا جاءك هذا الإحساس ؟!**

قال : لأنه عندما نجلس الآن ونفكر معا ، نجد من يقول إن ثورة يوليو انتهت عندما انقسم الضباط على انفسهم فى مارس ١٩٥٤ !! ورأى آخر يقول إن هزيمة ١٩٦٧ كانت نهاية الثورة ، ورأى ثالث يرى انه بوفاة عبدالناصر ١٩٧٠ انتهت الثورة ..

ولكل رأى تبريره وتقديره وكلها فى النهاية إجابات وتبريرات فلسفية ويتوقف قبولك أو رفضك لها على نوعية الفلسفة التى تؤمن بها !!

● **عدت لأقول له : ولكنى اسألك انت بالتحديد ؟!**

قال : أنا أخالف معظم الناس فى الأسس التى على اساسها يحكمون ببداية الثورة ونهاية هذه الثورة ، ففى اعتقادى لا توجد ثورة فى الدنيا تموت ! الثورات تبدأ وتتحقق أشياء وما تحققه يظل قائما !

وفى اعتقادى أن الثورة لم تمت لأنها موجودة اليوم ! بفضل ما انجزته ، فإذا كان حتى اليوم هناك أطفال يدخلون المدارس ويتعلمون بالمجان .. من فعل هذا ؟! إنه الثورة ، القطاع العام كيان قائم .. إذن الثورة لم تنته ! وهكذا ..

ولكن متى يمكننى القول أن ثورة يوليو انتهت ؟! إذا تم إلغاء القطاع العام وإذا سحب من العمل التمثيل بنصف المقاعد فى الشركات ، إذا الغى التعليم المجانى ، إذا عاد الإقطاع ، إذا ألغى الإصلاح الزراعى ، أما إذا ظلت كل هذه الأشياء كما هى وباقية ، فالثورة مستمرة .

هذه هى فلسفتى الخاصة فى النظر إلى الثورة .

□ التناقض والصحافة ! □

● **قلت : نعيش الآن عصرا سياسيا اتصور ان ملامحه تقول إنه اقرب إلى الليبرالية هناك ستة أحزاب فى الساحة السياسية ، لكل منها صحافتها الخاصة بها ، وهناك صحافة قومية دائمة متهمة من المعارضة وايضا القارىء .. واسالك ما مازق الصحف القومية ؟**

قال لى : فى العالم الراسمالى ، الصحف يملكها من يستطيع أن يصدر صحيفة ، وهذا وضع طبيعى ويتفق مع النظام الراسمالى ، فى العالم الاشتراكى حيث لا توجد ثورة خاصة ، وكل الثروة والأدوات الإنتاجية مؤممة ، من الطبيعى أن تكون الصحافة فى يد الدولة وهى صحافة موجهة فى بلد زى مصر الوضع مختلف . لدينا القطاع العام وأيضاً القطاع الخاص . لدينا أحزاب تصدر صحفها ، هناك قدر من الاشتراكية ..

وأنا أعتقد أن وجود عدد من الصحف أو نوع من الصحف غير منتم حزبيا لأى حزب هو إحدى الضرورات ، والصحافة لن تنجو من الأزمة فى أى مجتمع إذا لم تكن متسقة مع نظام المجتمع نفسه . ففى انجلترا أو أمريكا إذا حاولت الحكومة أن تصدر جريدة أو تمسك الصحافة.. هنا يحدث تناقض بين النظام وبين الصحافة !

وفى الاتحاد السوفيتى إيضاً إذا أطلقت حرية إصدار الصحف للأفراد ، حيبقى فيه تناقض بينها وبين النظام السياسى والاقتصادى الذى تتبناه .

فى مصر ايضاً لو أصبحت الصحف ملكية خاصة للأفراد سنقع فى تناقض ، ولو أصبحت الدولة هى المالكة لهذه الصحف سيحدث تناقض !

لاننا ببساطة نأخذ بنظام مختلط هناك القطاع العام وأيضا القطاع الخاص .

● قلت : وحل التناقض فى تصورك ؟!

قال : أنا شايف أنه شيء طبيعى فى مصر أنه يبقى فيه صحف يصدرها الأحزاب أو الفئات أو الأفراد ، وأيضا توجد الصحف القومية بمعنى كلمة قومية !

● سألته : ماذا تعنى بالقومية ؟!

قال : الصحيفة القومية هى التى تشبه من قريب أو من بعيد نظام محطة الـ بى . بى . سى . البريطانية فى صبغتها ، فالإذاعة والتليفزيون هناك مستقلان تمام الاستقلال وتنفق عليهما الدولة لكى يظلا مستقلين ! الدولة تنفق عليهما ولا يأتمران بأمرها !! هما منبر الأمة .

قال المايسترو : شوف ياسيدى ، مثلا تجد أحد أقطاب المعارضة فى المملكة المتحدة يظهر على شاشات التليفزيون ويهاجم بشدة الحكومة القائمة ، وممكن جدا ييجى فى أيام تانية ويقرر أنه لن يتكلم أحد فى السياسة من خلاله ، أو أن الذى يريد أن يتكلم فى أمر من أمور السياسة يدفع مبلغا معينا .

وهنا تحس أن هذا الجهاز مفوض من الشعب نفسه وليس من الحكومة الشعب يريد منبرا يثقفه وينوره ويعطيه المعلومات والترفيه ، إذن هو يخدم الشعب الإنجليزى بحياد تام وحقيقى وباستقلال تام ، وهذا ضرورة ومن الأشياء المفيدة جدا التى يحسها الإنسان فى المجتمع الانجليزى ، ويعطى ثقة لا نهائية للانجليز عند الـ بى . بى . سى .

وعندما تقول إذاعة الـ بى . بى .. سى .. شيئا فالمواطن الانجليزى

يصدقه فى الحال ، لأنه مؤمن ١٠٠٪ أنه جهاز غير منحاز ، ومهمته التنوير وإعلام الناس بالحقائق جميعا دون أن يفكر هل هذه الحقيقة تغضب فلانا أو تضايق علانا .

● **قلت : وكيف ينطبق مثل الـ بى . بى . سى .. على صحافتنا القومية ؟!**

قال : الصحافة القومية المصرية كان يمكن أن تكون اليوم أثمن رصيد للديمقراطية ومن أهم عناصر هذه الديمقراطية لو أخذت هذه الصيغة ، بمعنى أن تكون صحافة فوضها الشعب لكى تخدمه بإعلامه بالحقائق ، بأن تطرح على صفحاتها جميع الأفكار الموجودة فى المجتمع طول الوقت وأنه لا سيد على هذه الصحافة إلا الشعب .

● **قلت : ما ملامح مأزق الصحافة القومية ؟!**

قال : المأزق ليس من صنع هذه الصحافة ، ولكنه من صنع الدولة ، التى لا تتيح للصحافة القومية حتى الآن أن تكون بالفعل صحافة قومية ، مع أنه يوجد فى مصر مجلس أعلى للصحافة ، ومع أنه رسميا الصحف مستقلة عن الدولة تمام الاستقلال ، ومع أن قانون الصحافة يقول : الصحفيون أحرار ولا سلطان عليهم إلا سلطان ضمائرهم .. الخ ..

ومع أن جميع الصحف المصرية فى داخلها كتاب وصحفيون من كافة الاتجاهات والتيارات الفكرية ، إلا أن الحكومة شديدة الحرص على طول الوقت على أن تكون الصحف القومية منبرها الخاص ، وأن تختار لقيادات هذه الصحف باستمرار من هم مؤمنون بها وبسياستها ، وهنا تستخدم الحكومة نفوذها لكى تكون مسيطرة على الصحف القومية وأيضا موجهة لها .. ليس بالرقابة أو غيره ، ولكن هى ترسم سياستها دائما إلى أن تتوصل فى النهاية إلى أن تكون كلمتها نافذة داخل الصحف .

الحكومة بهذا التصرف تجهض فكرة الصحف القومية ، وتجهض دور الصحيفة القومية الذى ينبغى أن تلعبه !

□ خصومة مع المعارضة !! □

● عدت لأسأل : وما دور الصحافة القومية كما تراه ؟!

قال : الصحف القومية يمكن أن تكون هى صمام الأمان عندما يشتعل النزاع والصدام بين الصحف الحزبية ، مثل إكصدام السيارة الذى يخفف من عنف التصادمات !

تصور مثلا هذا الوضع : صحيفة الأحرار تنادى طول الوقت بإلغاء الدعم أوتخفيضه مثلا ، وصحيفة الأهالى تطالب بزيادة الدعم ، وصحيفة الوفد تقول إن الماضى كان أفضل وأن ثورة يوليو خراب وقرف !! تصور كل هذه الصحف موجودة وأيضا يوجد فى الساحة كتلة صحفية كبيرة ورزينة غير متطرفة فى أى اتجاه تكون بمثابة مسرح مفتوح لكل الاتجاهات وتتصارع على صفحاتها بتعقل أكثر ، هذا هو دور الصحافة القومية : أن تكون صمام أمن ضد الإثارة والانفجارات الحزبية ، وأيضا الصراع الذى يمكن أن تثيره هذه الأحزاب .

هذا الدور ضرورى جدا لمصر ومن يقوم به الآن ، أقول لك بأسف : لا أحد !! فالصحف القومية عموما فى خصومة مع المعارضة ، عموما مؤيدة للحكومة أو متحيزة لها ، والحكومة تخطىء كثيراً جداً وتخطىء فى حق نفسها عندما تواصل السعى والحرص على بسط نفوذها على الصحف القومية لأنها تحرم مصر من طاقة جهاز إعلامى وصحفى جيد يقف الموقف المحايد المرن الذى يمنع التصادمات والتناقضات من أن تصل إلى قمتها ،

أؤكد مرة أخرى هذا مطلوب لمصر . وهذا الدور يبحث عمن يؤديه فى عالم الصحافة ، والمرشح لتاديته هو الصحف القومية الحالية ، ولكنها حتى الآن لم تعد قومية والذى حرمها من ان تؤدى هذا الدور هو التفكير الخاطىء للحكومات التى تعتقد انه من المفيد لها أن تتبعها الصحف القومية مع انه تفكير ضار بها .

ونفس الكلام أقوله بالنسبة لجهاز الإذاعة والتليفزيون .

□ الحوار مع الدولة ! □

● **قلت : هل هناك ازمة على مستوى كبار الكتاب والصحفيين ؟**

قال لى : وكما سبق أن قلت الجيل الصحفى الجديد تربى على أن ينجح صحفيا بوسائل غير صحفية وهى نظرية أهل الثقة أعود فأقول لك ان هذا تسلل أيضا إلى القيادات الصحفية الناجحة والممتازة بل وإلى كتاب وصحفيين كبار أيضا تسالت إليهم عدوى السعى إلى أن يكونوا أهل ثقة . فأصبحوا يتنافسون على الحاكم ويصدق عليهم انهم استبدلوا الذى هو ادنى بالذى هو خير ، لأن مهمتهم كصحفيين وكتاب سيدهم القارىء ، يعملون فى خدمة الشعب والقارىء ، مهمتهم تنويره ، تثقيفه ، قيادته الفكرية ، تزويده بالحقائق ، بالمعلومات بالأفكار .

فى الوقت الحاضر اهتمام القيادات الصحفية برضاء القارىء يأتى فى المرتبة الثانية بعد رضاء الحاكم ، والمنافسة على القارىء تأتى فى المرتبة الثانية بعد المنافسة على الحاكم .

● **قلت : قيل ان ما تكتبه هذه الأيام فى الجمهورية إنما يتم باتفاق مع الحكومة وردد البعض ان هناك مساحة معينة متروكة لك للخلاف والهجوم ؟!**

قال : كل الكلام الذى يقال لا وجود له ولا أصل له من الصحة ، أنا لم اتفق مع أحد ، ولا ادرى إذا كان ما أكتبه فى الجمهورية قد أغضب أحدا أو ارضى أحدا . لأنه باختصار شديد طلب منى الصديق محسن محمد رئيس التحرير أن أكتب فى العدد الاسبوعى للجمهورية ووعدنى أن ما أكتبه ينشر كاملا كما هو دون تعديل ودون مساومة على كلمة أو سطر ، وإذا رأى أن الموضوع الذى كتبته لا يمكن نشره من وجهة نظره فلا ينشر .

وبدأت أكتب للجمهورية ولم يحدث حتى الآن أن قيل لى لا تكتب فى هذا أو ذاك ، وشعرت أن هذا نفسه شيء هام ومفيد لأنه إعلان لمن يزعمون أنهم يتلقون وحيا من الدولة بأن الدولة تريد هذا الموضوع ولا تريد هذا . إنهم لا يقولون الحقيقة لأن جريدة الجمهورية إحدى الصحف القومية وتعيش نفس ظروف باقى الصحف القومية وما أكتبه تنشره . إذن هذا إعلان أن الدولة لا تمنع الآن شيئا !! أو بالنسبة لى لم تمنع حتى الآن .

لا يوجد اتفاقات ، وأنا رجل لا يصلح للاتفاقات ولم يحدث فى حياتى أن عقدت أمثال هذه الاتفاقات لا مع حزب معارض ، ولا مع حزب مؤيد ولا مع شخص له شأن ! وزى ما سبق أن أشرت أن من المؤسف أن الصراع على القارئ قد أخلى مكانه للصراع على الحاكم . وأنا بطبعى لا أدخل فى هذا الصراع مطلقا ، ولا أكتب وأنا أضع هذا الحساب فى بالى .

فإذا قيل لى أن الرئيس مسرور مما تكتبه فهذا شيء يسرنى ككاتب لأن معناه أنى كسبت الرئيس نفسه كقارئ لى .. وكسبت رأس الدولة كقارئ لى .. هذا يسرنى من زاوية أننى كسبت قارئا بالغ الأهمية . ويسرنى لأنى أتمنى أنى ما أؤمن أنه الحقيقة يقتنع بها رئيس الدولة أنه الحقيقة .. وعندها تبقى رسالتى وصلت ومن أسرع الطرق .

طيب إذا لم يقتنع الرئيس بما أكتبه فهذه ليست كارثة ولا هو شيء

يغضبنى أيضا ، لأنه قد يقتنع غدا أو بعد غد .. وقد أكتب مرة ثانية وثالثة .. ده نوع من الحوار .. لكنه أساسا حوار مع القارىء مباشرة طرفاه الكاتب والقارىء ، فإذا حقق هذا العمل اقتناع للدولة يبقى عظيم جدا أهلا وسهلا .. إذا لم يحقق نحاول مرة أخرى وثانية ورابعة !

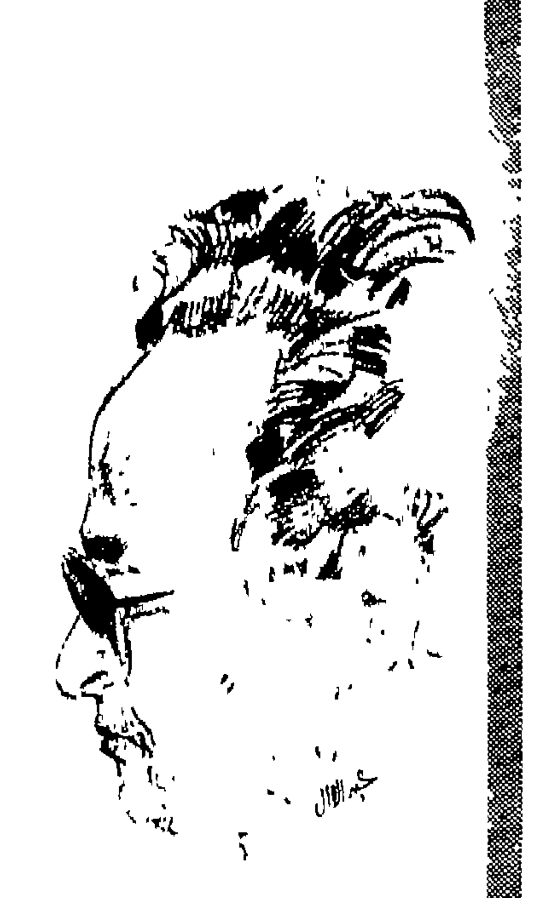
النهاردة احنا مش بنحارب الانجليز . نحن بلاد يحكمها أهلها والطريق لهذا هو الحوار واستمرار الحوار مع الدولة لكى نقنعها بما أرى أنه صواب .

●●

والحوار مستمر ..



■ الحوار الخامس ■



٣ مايو ١٩٨٤

محاكمة عبد الناصر
ظاهرة صحية !

● الدفاع عن ذمة عبد الناصر تهمة لا ننكرها وشرف لا ندعيه !
● اغتيال الزعامات المصرية ظاهرة فرعونية أصيلة !
● نعم لم يكن السادات مهتما بمراجعة أحاديثه الصحفية !
● خطيئة يوليو أنها اعتبرت الماضى عصر جاهلية !
● مبارك رجل شديد البساطة ومؤمن تماما بالديمقراطية .

لم يكن وارداً في حواري هذا الأسبوع مع الأستاذ صلاح حافظ « ان يحتل كتاب جلال الحمامصي أسوار حول الحوار مساحة ما من حوارنا » !!

فليس جديداً على الحمامصي ان يشكك في ذمة جمال عبدالناصر المالية ، وقد سبق له ذلك وبعد البحث والتحري اتضح ان اتهامه لم يكن سوى « دخان في الهواء » !!

ولكن السطور التي هاجم فيها « روز اليوسف » ، وكان صلاح حافظ وقتها رئيساً للتحرير قفزت بالسؤال إلى مقدمة الحوار .

الحمامصي يتهم « روز اليوسف » بالدفاع عن ذمة عبدالناصر !

وصلاح حافظ يؤكد الاتهام ويقول لي :

الدفاع عن ذمة جمال عبدالناصر تهمة لا ننكرها وشرف لا ندعيه !

و .. تفاصيل الحوار كما جرت أرويها لكم .

● قلت : في يناير عام ١٩٧٦ ألقى الأستاذ بقنبلة سياسية وصحفية مثيرة عبر صفحات كتاب أصدره اسمه « حوار وراء الأسوار » عندما شكك في سلامة الذمة المالية للزعيم جمال عبدالناصر بأنه قام بتهريب

مبلغ ١٥ مليون جنيه إلى الخارج .. وهاج الراى العام .. وشكلت لجنة على أعلى المستويات قال يومها فى خطاب له :

عيب .. اتهام عبدالناصر بالتهريب كلام فارغ ..

وهذه الأيام صدر كتاب جديد للأستاذ الحمامصى اسمه « أسوار حول الحوار » عاد فيه يشكك مرة أخرى فى ذمة عبدالناصر فى نفس ما سبق ان اثاره .. كان يمكننى أن أعبر الكتاب وصاحبه و الا يحتل ما فيه مساحة ما من ذهنى لولا بعض السطور التى يقول فيها :

« كانت قضية كتاب حوار وراء الأسوار قمة المعركة الصحفية الداخلية التى كشفت عن الخفايا ، ورفعت الغطاء عما حبس فى داخل الإناء وخرج الصحفيون إلى العراء وقد اجبرهم الانفجار على أن يتخذوا موقفاً محدداً » .

ثم يتهم صحافة مصر وصحفييها ونقابة الصحفيين بوأد حرية الصحافة إلى ان يتهم مجلة « روز اليوسف » .

« إنها وقفت موقف الدفاع الذى لا يريد انتظار الدليل » .

عدت لأسأل صلاح حافظ بعد ان طويت كتاب الحمامصى وركنته جانباً :

● فى ذلك الوقت كنت رئيس تحرير « روز اليوسف » الذى اتهمها الحمامصى دون انتظار لدليل ماذا تقول ياأستاذ صلاح الآن ؟ ولماذا عاد الحمامصى الآن للتشكيك فى ذمة عبدالناصر ؟!

بهدوء شديد قال لى المايسترو :

ــ الحقيقة أن الأستاذ جلال الحمامصى فى عراك دائم مع ثورة يوليو ، ولا أعلم متى بدأ هذا العراك معها : لكن هذا العراك أفصح عن نفسه بوضوح شديد عقب تولى السادات للسلطة فى مصر ، وأطلق حرية الكلام والصحافة

ورفع الاضطهاد عن الذين اضطهدهم عبد الناصر . فى ذلك الوقت مثلاً شن بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة هجوماً شديداً على ثورة يوليو وعلى عبد الناصر مثل كمال الدين حسين وعبد اللطيف البغدادى وحسن إبراهيم وصدر هجومهم فى كتاب عنوانه « الصامتون يتكلمون » .

كما بدأ الأستاذ جلال الحمامصى حملة مستمرة على ثورة يوليو .. وأقصد أن هذه الفترة هى التى شهدت بداية محاكمة عبد الناصر على صفحات المجلات والجرائد المصرية ، وكانت هذه المحاكمة على أى حال فى اعتقادى : ظاهرة صحية ؟!

● تساءلت بدهشة ، ولماذا تعتبرها ظاهرة صحية ؟!

ــ قال غير مبال بدهشتى : لأنها كانت ممارسة مباشرة لنقد الحاكم أو الزعيم مهما يكن وضعه ومهما يكن إيمان الناس به . فإذا كان هناك شخص واحد يشك فى هذا الزعيم ويريد أن يكشف حقائق مجهولة عن هذا الزعيم للرأى العام فهذا حقه : لأن هذا الحق لم يكن متاحاً ، وأصبح متاحاً الآن ، من هذه الزاوية اعتبرت تلك المحاكمة ظاهرة صحية .

ولكن كونها ظاهرة صحية هذا لا يمنع أن يكون فى مواجهتها ظاهرة صحية أخرى ، وهى أن ترد على ما هو غير صحيح أو غير صائب وأن تصحح ما يقوله الناس . فإذا كان خصوم جمال عبد الناصر قد وجدوا الحرية فى مهاجمته ومحاكمته فمن الطبيعى أن الباحثين عن الحقيقة يكون لهم أيضاً حرية مناقشة هذا الهجوم والبحث عما إذا كان صحيحاً أو خاطئاً .

□ الحمامصى وخصوم يوليو ! □

مساحة صمت سادت بيننا لثوان ، عاد بعدها صلاح حافظ ليقول : لهذا تصدت « روز اليوسف » للدفاع عن ذمة جمال عبد الناصر ، وغير

صحيح انها تصدت لذلك دون دراسة ، واعتقد اننا فى ذلك الوقت لم نكن فى حاجة اصلاً إلى دراسة !

● قلت : لماذا ؟!

— قال : طوال عهد جمال عبدالناصر لم تكن هناك رقابة على أى أموال مصرية ، أو على أى أموال حكومية ، وكانت هناك أرصدة للقوات المسلحة لا يراقبها برلمان . وارصدة للمخابرات لا يراقبها احد !! أى كانت هناك عشرات ومئات الملايين أمام عبدالناصر لو اراد ان يستفيد منها متاحة له كى يراكمها فى البنوك الأجنبية فى أى وقت يشاء ! ومعروف أن أموال المخابرات وغيرها تودع دائماً فى الخارج ، فمن السهل جداً أن يقتنص منها عبد الناصر ما يشاء فى أى وقت يشاء ، ولن تحتاج المسألة عندئذ لشيك صادر من بلد عربى أو غيره . كان يمكن لهذا الشيك لو أراد عبد الناصر ان يسرقه ان يأمر بإدخاله إلى خزانة الدولة ، ثم يعود من الخزانة كاعتماد للنشاطات السرية الكثيرة ثم يأخذه عبدالناصر ببساطة وينهبه بسهولة !!

● عدت لأقول : وماذا عن الاتهام نفسه ؟!

— قال : الاتهام نفسه كان فى اعتقادى اتهاماً صبيانياً ! واعتقدت فى ذلك الوقت أن الأستاذ جلال الحمامصى قد تورط فيه . بمعنى انه ابلغ به من مصادر غير أمينة وغير صادقة وأنه صدق هذه المصادر . لكن المدهش فى الأمر الآن أنه بعد أن تم بحث وتحقيق هذا الاتهام وشكلت لذلك لجنة على أعلى المستويات .. و .. وانتهت اللجنة إلى أنه اتهام غير صحيح ، ثم اخذ الرئيس السادات نتائج هذه اللجنة ، وأعلن أن الاتهام غير صحيح .

يدهشنى أن أستاذا كبيرا مثل الأستاذ جلال الحمامصى يدرس الصحافة فى بلدنا ويعلم الطلبة أن السيد الأوحد للصحفى هو

« الحقيقة » ، وأن مهمته الأساسية أن ينشر الحقائق على الناس ، عاد ليكرر الاتهام نفسه هذه الأيام .

● اسأل : ما تفسيرك لذلك ياسيدى ؟!

ـــ قال بحسم : هذا التكرار لا يمكن تفسيره إلا بأن الحمامصى يتهم اللجنة التى حققت ، ويقول إنها كانت واقعة تحت ضغط لكى تلون تحقيقها وتبرىء جمال عبد الناصر . وأنا لا أعتقد أن هذا كان صحيحاً . لأننا لم نسمع كلاماً من أى عضو من أعضاء هذه اللجنة قال فيه أنه قد ضغط عليه لكى يزيف ذمته ، ولو كان هذا صحيحاً فلماذا لا يتكلمون اليوم .

● قلت : عندى تفسير ياسيدى ..

ـــ قال المايسترو : ما هو ؟!

● **قلت : سبق أن أشرنا إلى جبهة خصوم يوليو التى تهاجم بضراوة ثورة يوليو وكل رموزها وفى مقدمتها جمال عبد الناصر .. وأعتقد أن كتاب الحمامصى الجديد إنما يمثل المدفعية الثقيلة فى هذه المعركة ..**

ابتسم صلاح حافظ وأضاف : أوافقك .. فهذا الإلحاح على تناول ذمة عبد الناصر فى اعتقادى هو جزء من الحملة الملحة ليس فقط على تناول « ذمته » ، ولكن على تناول قيمة ثورة يوليو . هل هى ثورة أم انقلاب ؟! وأيضاً قيمة انجازاته هل هى انجازات طورت مصر أم كانت نكسة ؟ وهل كانت الثورة عصر نور أم عصر ظلام ؟! هذه المعركة مستمرة ، وستظل مستمرة طويلاً جداً فى مصر .

وأعتقد أن الأخطر من الذى كتبه الحمامصى هو تلك المناقشات التى تدين ثورة يوليو كثورة ، وتدين إجراءاتها ، وتتهم السد العالى ، وتتهم مجانية التعليم والإصلاح الزراعى .. و .. وهذا أخطر وإذا وضعنا أمثال

هذه الحملات إلى جانب حكاية الشيك إياه أبو ١٥ مليون فإنه يبدو مجرد « نونوة قط فى غابة مليئة بزئير الأسود والنمور » !!

□ أشفق على الحمامصى !! □

● قلت : يندهش الحمامصى ايضاً فى كتابه كيف ان الذين قاسوا فى معتقلات وسجون عبدالناصر اقسى انواع العذاب ، كانوا على قمة الذين انبروا يناقشون الذين مسوا ذمة عبدالناصر .. فهل كان الحمامصى يتصور ان هؤلاء اول من سيقفون بجواره حتى ولو كانوا من اليساريين ؟!

قال بحسم : عبدالناصر كان زعيماً للأمة المصرية والأمة العربية ، وقد نجح أن يحفر اسمه فى ضمائر الشعب المصرى والشعوب العربية ، وفى وقت من الأوقات كان القتلى من ثوار الجزائر عندما يحمل الفرنسيون جثثهم يفاجئون بصورة جمال عبدالناصر معلقة بواسطة سلسلة فى صدورهم : عبدالناصر هو الرجل الذى أقنع جميع التيارات بصدق وجدية وفائدة ثورته وأقنع الذين اختلفوا معه فى فترة من الفترات بأنه زعيم يجب أن يؤيد ويجب أن تؤيد ثورته ! فإذا كان هناك قوم سجنوا أو عذبوا ثم اقتنعوا بأن عبدالناصر على صواب فنسوا آلامهم الشخصية فأيدوا عبدالناصر لصالح الشعب المصرى ، فليس هؤلاء القوم هم الذين يجوز نقدهم أو التعبير عن الدهشة لموقفهم ، إنما الجدير بأن يكون موقفهم مدهشاً هم الذين يعتقدون أن الألم الشخصى كفيل بأن يغمض الإنسان عينيه عن الحقيقة الساطعة والناصعة هؤلاء الذين عذبوا فى عهد عبدالناصر وأيدوه برغم ذلك يجب أن تعلق على صدورهم نياشين الوطنية ، والإخلاص للشعب والإخلاص للحقيقة !

وأنا اعتقد ان الأستاذ جلال الحمامصى سيدهش جداً عندما يعلم أن تأييد عبدالناصر من جانب عدد كبير جداً من اليساريين قد جرى وبدأ وأعلنوه وهم فى السجن ، وظلوا فى السجن أيضاً وهم متمسكون به ، لأن الذين سجنوا فى عهد عبدالناصر لم يكونوا حثالة قوم ، ولم يكونوا باحثين عن أهداف شخصية ، إنما كانوا مناضلين فى سبيل الشعب المصرى ، وفى سبيل مصر كوطن !

ولو أن آلامهم الشخصية فى السجن منعتهم من أن يعلنوا التأييد لسياسة عبدالناصر المفيدة لبلادهم لكانوا بذلك قد خانوا وطنهم ، وجعلوا آلامهم الشخصية أولاً ثم الوطن ثانياً ، لكنهم كانوا أرفع من أن يرتكبوا هذه الجريمة البشعة .

● قلت للأستاذ صلاح حافظ : هل تأذن لى بوجهة نظر متواضعة ؟!

ــ قال : كلى آذان صاغية .

● قلت : لعلك تعرف ويعرف الجميع ان الأستاذ الحمامصى بدأ حياته السياسية « وفدياً » ثم ما لبث ان انشق عن حزب الوفد ، وشارك مع مكرم عبيد فى وضع الكتاب الأسود الذى هاجم الوفد والنحاس باشا زعيم الوفد .. وقيل إن القصر الملكى لعب دوراً فى إعداد هذا الكتاب لتشويه الوفد ، ثم تقوم ثورة يوليو وكان الحمامصى واحداً من المقربين لعبدالناصر الذى أولاه ثقته وجعله رئيساً لتحرير جريدة الجمهورية جريدة الثورة ، ويرحل عبدالناصر ويتولى السادات الحكم ويعود الحمامصى رئيساً لتحرير الأخبار ، وينهال هجوماً على عبدالناصر فى كتابه « حوار وراء الأسوار » ، ثم يرحل السادات فيصدر كتابه « القرية المقطوعة » وفيه هاجم عبدالناصر والسادات أيضاً .. واذكر اننى فى ذلك الوقت قدمت عرضاً للكتاب على

صفحات الزميلة مجلة « الوادى » وكنت انت احد مستشاريها اقول فى تلك المقالة : « فى حياة مصر الثقافية والسياسية ظاهرة غريبة يمكن أن نسميها البطولة المؤجلة !

ومن بين هؤلاء الأبطال الكاتب الصحفى المصرى جلال الدين الحمامصى » .

والآن اسال كواحد من ابناء يوليو : ماالذى سوف يقوله الحمامصى ذات يوم عن عصر مبارك وما تفسيرك ياسيدى لظاهرة البطولة المؤجلة ؟!

صمت الأستاذ صلاح حافظ لحظات .. عاد بعدها ليقول لى :

ــ « تقدر تنشر هذا السؤال كاملاً زى ما قلته دلوقتى ! لكن أنا أشعر بحرج شديد فى الإجابة على مثل هذا السؤال إشفاقاً على أستاذ من أساتذة الصحافة هو الأستاذ جلال الحمامصى ، وأعتقد انك يجب أن توجه هذا الاتهام إلى الأستاذ الحمامصى شخصياً لكى يرد ويفسر فقد يكون عنده التفسير !

□ اغتيال الزعامات المصرية ! □

● قلت : يحفل تاريخ مصر السياسي بظاهرة فريدة . اقصد اغتيال الزعماء لبعضهم البعض . وكلما وصل زعيم إلى كرسى الحكم ادان واغتال الزعيم الذى قبله ! فمثلاً كان احمد عرابى فى نظر زعماء الحزب الوطنى خائناً وعميلاً ، وكان سعد زغلول فى نظر زعامات الحزب الوطنى زعيم الرعاع .. جاء عبد الناصر فاعتبر ان يوم ٢٣ يوليو بداية تاريخ مصر ، واذان كل زعماء مصر قبل الثورة . اما السادات فقد اعتبر ١٥ مايو هو بداية التاريخ ، وحدد زعماء مصر بخمسة فقط ما

يلفت النظر حقاً ، ويدعو للدهشة ان الرئيس حسنى مبارك يؤكد عبر احاديثه الصحفية وفى عشرات المناسبات احترامه الكامل لكل الزعامات المصرية ، وايضاً لم يهاجم واحداً منها ..

● لماذا شذ حسنى مبارك عن هذه القاعدة ؟!

ــ ضحك الأستاذ صلاح حافظ وقال وهو يستمر فى الضحك . على العموم الواحد قبل أن يجيب على هذا السؤال لا يملك إلا أنه يضحك ، لأنه من التفسيرات الطريفة لهذه الظاهرة إنها ظاهرة مصرية أصيلة وفرعونية ، فمن المعروف أن كثيراً من الفراعنة كانوا عندما يصلون إلى عرش الحكم كانوا يبدأون عهدهم بمحو أسماء الحكام الذين سبقوهم من فوق جدران المعابد ويضعون أسماءهم فوق هذه الإنجازات .

لذلك فإن كثيراً من المؤرخين ينظرون بتحفظ شديد إلى ما هو معروف عن معارك رمسيس وتحتمس بالذات ويعتقدون أن كثيراً من هذه المعارك قد قام بها فراعنة سابقون . وبعضهم اكتشف أن أحد هؤلاء نسب إلى نفسه انتصارات حربية باهرة لا يمكن أن يقوم بها لسبب بسيط أنها قد وقعت قبل مولده بزمن طويل .

شاركنى الأستاذ صلاح حافظ الابتسامة ثم قال :

ــ أما فى العصر الحديث ومحاولات طمس ما هو سابق وإدانته فقد بدأته اساساً ثورة يوليو . قبل الثورة كان يحكم مصر الأسرة العلوية (نسبة إلى محمد على) وكان احمد عرابى خصماً للأسرة العلوية الذى تمرد عليها ، وكان رأى الأسرة العلوية فيه وأيضاً الحزب الوطنى (حزب مصطفى كامل) أن عرابى خائن لأنه قام بثورته بالاتفاق مع الانجليز ليتيح لهم دخول مصر ! ومع ذلك كنا ندرس فى المدارس تاريخ عرابى الحقيقى كاملاً ، وكنا نعلم كأطفال أنه كان فى مصر زعيم مناضل يناضل من أجل حرية البلاد

اسمه عرابى ، ونعرف أنه هزم بالخيانة وبتحالف الخديو توفيق مع الانجليز ضده ، كان هذا كله ندرسه فى ظل الأسرة الملكية العلوية .

ولم نكن قد عرفنا بعد مسألة طمس الزعامات السابقة أو إعادة صياغة التاريخ حيث يروق للحاكم وحده .

● **اقول له : لماذا ؟!**

ـــ يقول : لأن النظام كان نظاماً دستورياً ، والملك كان مقيد السلطات فلا يستطيع أن يمنع تدريس كتاب من كتب وزارة المعارف يحوى كل هذه المعلومات .

□ خطيئة يوليو الثقافية □

● **قلت : وماذا جرى بعد الثورة ؟!**

ـــ قال : عندما جاءت ثورة يوليو كان عليها ان توجه ركاماً طويلاً سابقاً على قيامها وأن تمحوه . فمحت الإقطاع والملك والسياسيين السابقين والأحزاب .. و .. وفى غمرة الحماس لمحو الماضى السيىء ارتكبت خطيئة هى محاولة المحو الثقافى ايضاً .

● **قلت : ولماذا تعد ذلك خطيئة ؟**

قال : أصبح تاريخ مصر يبدأ يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وكل ماهو سابق على هذا التاريخ عصر جاهلية وليس فيه نقطة واحدة مضيئة . ليس فيه سعد زغلول ، أو ثورة ١٩ ، ليس فيه عرابى ، مصطفى كامل ليس فيه شىء بالمرة . وأعتقد أن الثورة ادركت هذا الخطأ عندما وصلت إلى مرحلة التفكير فى الاشتراكية وإصدار الميثاق الوطنى . ففى الميثاق سمع الجيل الجديد لأول مرة عن ثورات سابقة ونضال سابق للشعب المصرى ، ثم ادين هذا

التاريخ من زاوية أنه لم ينجح فى تحقيق المطالب الوطنية ، وبذلك نسبت ثورة يوليو نفسها إلى الثورات السابقة بدلا من أن تعاديها وأنها جاءت لتكمل رسالة ثورة ١٩ .

يضيف الأستاذ صلاح حافظ : وكان هذا فى رأيى تصويبا لابأس به للماضى ، لكن العادة استمرت عادة أن كل ماهو من إنجاز يوليو صائب ورائع وعظيم ، وكل ما أنجز فى الماضى لا وجود له أو قاصر وعقيم !

● **قلت : ناتى للسادات ياسيدى !!**

قال : كانت مشكلة السادات فى البداية أنه حل محل زعيم له رصيد ضخم ، وكان عليه أن يملأ المكان بأن يصنع لنفسه رصيدا ، وقد صنع بالفعل رصيدا عندما أوقف سلطات الأجهزة السرية والخفية وفتح الباب لحرية التعبير وإضفاء المشروعية على التيارات الفكرية المختلفة التى كانت داخل الاتحاد الاشتراكى ثم عندما تحولت إلى أحزاب ثم إلغاء الرقابة عن الصحف وحرب أكتوبر .. و.. الخ .

وعندما تشكل للرئيس السادات هذا الرصيد من الإنجازات ، بدأ يمارس نفس العادة « اليوليوية » وهى أن التاريخ يبدأ بالإصلاحات التى حققها ، وكل ماهو سابق عليها كان خطأ ، ولعلك تذكر أن السادات كان فى كل خطاب له يحصى هذه الإنجازات فيقول سنة ٧١ عملنا ثورة التصحيح وسنة ٧٢ الدستور الدائم وسنة ٧٣ حرب أكتوبر وهكذا .

واصبح هذا هو بداية تاريخ مصر . بل بالغ السادات فى هذا الاتجاه وقرر تشكيل لجنة لإعادة كتابة التاريخ وصياغته ، ومن المؤكد أن هذه اللجنة لو أنها قد قامت بهذه المهمة فى ظل حكم السادات لكان التاريخ قد كتب وقد حذف منه ليس محمد نجيب وحده بل عبدالناصر أيضا .

يضحك الأستاذ صلاح قائلا : أعتقد كده !!

● تسالنى فى أول الحديث لماذا لم يفعل ذلك الرئيس حسنى مبارك ؟ وهذا سؤال وجيه جدا !!

انبسطت وقلت : اقصد لماذا شذ الرئيس مبارك عن القاعدة ؟!

قال : لعلك لاحظت من سردى السابق أن نزعات الغاء التاريخ السابق وأن التاريخ يبدأ بحاكم معين هى نزعات مرتبطة بطراز واحد من الحكم . هو طراز السلطة المطلقة ! فعندما يمتلك الحاكم سلطة مطلقة فإنه يميل بحكم النزعات النرجسية الطبيعية فى أى إنسان أن يعتبر عهده هو بداية تاريخ شعبه ، لهذا شاهدنا هذه الظاهرة فى عهد عبدالناصر وأيضا فى عهد السادات لم نشاهدها فى عصر فاروق لأنه لم يكن حاكما مطلقا فقد كان مقيدا بدستور ، وصحافة حرة وحكومة هى المسئولة .. الخ .. فإذا خرجنا من هذا بقاعدة فإننا يمكن أن نلخصها فى انه إذا غابت الديمقراطية وكان الحاكم مطلقا فإنه بالضرورة سينفى كل ما سبقه وسيمحو كل ماسبقه ، ويعتبر أن الحياة بدأت به .

إذا طبقنا هذه القاعدة الآن على الرئيس حسنى مبارك نستطيع أن نقول إذن أن رفض حسنى مبارك لمحو ماسبقه دليل على أن عهده عهد ديمقراطى وأنه مخلص حقا لقضية الديمقراطية .

وليس صدفة ولا هو شىء عجيب يستحق الدهشة والتساؤل أن الرئيس مبارك لم ينقض أو يمحو تاريخ السابقين عليه لانه ببساطة فى رأيى أن مبارك قرر أن يكون حاكما ديمقراطيا .

□ مبارك صورة بالكلمات !! □

● قلت : لماذا لاتحاول ان ترسم صورة بالكلمات للرئيس مبارك ؟!

قال : بالنسبة للرئيس مبارك ينطبق ماسبق أن قلته لك أننى ليست لى علاقة حميمة بالحاكم . لم التق أبدا بعبدالناصر ، جمعتنى بالسادات

مناسبات وكان بيننا حوارات ، وجمعتنى بالرئيس مبارك مناسبات وكان بيننا حوارات ، ولكن كل هذا لايرقى إلى مستوى العلاقة الحميمة . وأنا لم أعرف الرئيس مبارك إلا بعد حرب أكتوبر وبعد أن صار بعدها نائبا لرئيس الجمهورية . وأيضا كان ذلك بحكم المصادفة فقد ذهبت كصحفى معه فى جولاته خارج مصر .

واحدة من هذه الجولات كانت جولة طويلة فى البلاد العربية ، فمن الطبيعى أن أراه كل يوم وأن نتحدث أنا أريد معرفة الكثير عن حرب أكتوبر العظيمة ودور الدفاع الجوى والطيران و .. وكان مبارك يشرح لى ويفهمنى ، وأذكر أنه بعد بضعة أيام من مناقشاتنا أحسست أنه لابد من كتابة كتاب عن هذا الطراز من الدفاع الجوى الذى تم ، فقد كان قائما على تكنولوجيا حديثة جدا ومعقدة .. وكانت هذه المعلومات التى يشرحها لى نائب الرئيس شيئا جديدا ومغريا تماما . واقترحت عليه أن يستكمل ما بدأ يشرحه لى وأن نتولى نشره فى روز اليوسف .. وأذكر أنه وافق على الاقتراح .. ولكن ظروفه المتلاحقة ومسئولياته العديدة ربما شغلته عن الكتابة .

بعد ذلك كانت هناك مناسبات تجمعنا من وقت إلى آخر ، ولقد تركت عندى انطباع أنه رجل شديد الانضباط مع نفسه ، وأنه ليس من طراز الرجال الذين يأخذون قرارات عصبية أوقرارات غاضبة ، وأن من طبيعته الحساب الدقيق ليتخذ أسلم القرارات .

● **قلت : ربما بحكم انه طيار سابق ، والملليمتر فرق قد يكلف الطيار حياته ؟!**

قال : ده صحيح طبعا ، والمسالة ليست هزارا ، يعنى عندما تقود الطائرة .. لاتستطيع أن تغضب مثلا فتترك الطائرة .

كذلك عرفت أنه أخلاقيا رجل شديد الإنصاف وشديد الحرص على أن

يكون عادلا ، فلا يترك نفسه لسماع كلام يتأثر به .. فلا يتخذ أية قرارات بناء على كلام سمعه ، والحقيقة أننى أعجبت به ، ثم أنه رجل شديد البساطة لايحيط نفسه بهالة من العظمة ، ولا يوجد فى داخله إحساس أنه متفوق على الآخرين أو انه شخصية فذة والآخرين أقزام . وهذه صفات وقيم لايمكن قياسها ، فهو رجل يؤمن بالاشياء التى يمكن قياسها وهذا ايضا بحكم مهنته وخبرته كطيار . هذا إحساسى وشعورى ناحية الرئيس مبارك .

من جانبه شعرت أنه يشعر بنوع من المودة نحوى ، وبين وقت وآخر إذا كنا فى اجتماع مثلا يداعبنى إذا كنت ارتدى بدلة جديدة فيسألنى : البدلة دى منين !

أذكر مرة بعد أن صار رئيسا للجمهورية أن دعا رؤساء التحرير ورؤساء مجالس الإدارات إلى الاجتماع به . رغم أننى كنت قد تركت رئاسة تحرير روز اليوسف إنما دعيت . وذهبنا .. جلسنا فى حجرة حول ترابيزة بسيطة منتظرين مجىء الرئيس . أنا أقف فى مواجهة الترابيزة ، ودخل الرئيس ولم أشعر بدخوله ، فلم يحدث زيطة أوحد قال انتباه .. المهم أن الرئيس صافح الجميع وعندما وصل ناحيتى صافحنى ثم قال لى : ايه ده ياصلاح انت مابتكبرش خالص .. ده أنت زى ماتكون مش عايش معانا !! وضحكنا جميعا . وأحسست من تعليق الرئيس أنه قد بدأ يشعر بهموم المسئولية وهموم البلد . وأن أنا ليست عندى هموم فأبدو شابا ذا شعر أسود فاحم .

ضحك صلاح حافظ وقال : طبعا الذى لايعلمه الرئيس مبارك أن مظهرى الذى يبدو شبابا طول الوقت هو مظهر وراثى ، وأن والدى الذى تجاوز التسعين من عمره أكثر شبابا منى !!

□ كلهم فوجئوا بالثورة : □

● **قلت للاستاذ صلاح حافظ : عندما قامت الثورة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كنت تعمل صحفيا فى جريدة الأخبار التى يملكها مصطفى وعلى امين .. وبحكم اقترابك الشديد منهما هل كانا على علم بموعد قيام الثورة .. او ان الاستاذ هيكل وحده كان يعلم ! بينما يرى آخرون ان إحسان عبدالقدوس واحمد ابو الفتح كانا على علم بذلك الموعد ؟!**

قال : لم يكن أحد من هؤلاء جميعا يعلم بموعد قيام الثورة .. لا ده .. ولا ده .. أو ده .. بالعكس مصطفى وعلى أمين من الذين فوجئوا بحكاية الثورة .. الأمريكان كانوا يعلمون أن هناك تنظيما !! وأن الملك منهار !! ويوجد وضع قابل للانفجار .. وهناك تنظيمات عديدة .. وممكن الثورة تحدث من جانب الإخوان المسلمين أومن اليسار .. فالناس كلها متحفزة !!

● **قلت مستوضحا : من هنا كان إلقاء القبض على مصطفى وعلي أمين فى الأيام الأولى للثورة .**

— قال : طبعاً .. وبالإضافة إلى مصطفى وعلي أمين كان قد تم القبض على اللواءات والوزراء وبعض زعماء الأحزاب فكل هؤلاء اعتبرتهم الثورة رموزاً للنظام القديم المنهار .. أيضاً كان معروفاً للكل مدى العلاقات القوية بين أخبار اليوم وبين الأمريكان والانجليز .. لهذا كانت الثورة تريد تأمين نفسها ضد هذه القوى بالقبض على مصطفى وعلي أمين .

معنى هذا كله أن موعد الثورة لم يكن يعلم به أحد على الإطلاق .. وما عرفناه بعد ذلك بسنوات طويلة أن موعد قيام الثورة لم يكن فى يوليو ١٩٥٢ بل كان فى سنة ١٩٥٥ .. ولكن ضباط يوليو عجلوا بالموعد بعد أن عين الملك قريبه إسماعيل شيرين وزيراً للحربية لكى يؤدب « هؤلاء العيال » !!

□ عبد الناصر .. السادات وصحافة مصر ! □

● قلت : لا ادرى تفسيراً لهذه الظاهرة : ان الرئيس عبدالناصر نادراً ما ادلى بحديث صحفى إلى صحيفة مصرية ، بينما السادات كان كثيراً ما يدلى باحاديث صحفية لرؤساء التحرير المصريين ربما كانت مجلة « روز اليوسف » صاحبة اكبر نسبة من هـذه الاحاديث .. ماتفسيرك انت لموقف الرئيسين من الصحافة المصرية ؟!

قال : الواقع أنه فى عهد عبدالناصر كانت هناك عملية لبناء صورة عبدالناصر فى الخارج ، وأخرى لبناء صورته فى الداخل ، كانت الصورة التى بنيت له فى الداخل هى صورة الرجل الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، أى أنه شبه إله .. وأعتقد أن رفض عبدالناصر للإدلاء بأحاديث للصحف المصرية كان يعكس ما سبق أن أشرت إليه من خصومة بين الثورة وبين الصحافة المصرية ، أو على الأقل التقليل من شأن هذه الصحافة . لماذا اتكلم مع صحافة املكها ؟!

ثم أتحدث مع من ؟! إن أى صحفى هو موظف عندى فلماذا أوثره بحديث صحفى وأجلس معه الساعات الطويلة ليخرج بحديث صحفى يصبح بعده اسماً لامعاً .

وقد يكون من أسباب عزوف عبدالناصر عن الإدلاء بأحاديث للصحافة المصرية ، ولا أريد أن يكون هذا اتهاماً ، هو إصرار هيكل على أن يكون الأوحد الذى ينفرد بالحديث مع جمال عبدالناصر ويناقشـه . فلو أن عبدالناصر مثلاً تحدث مع « زيد » من الصحفيين لكان هذا إعلاناً بأن زيد لا يقل أهمية عند عبدالناصر من « السيد هيكل » . ولا تنس أن هيكل كان رصيده الأساسى أنه المحاور اليومى لعبدالناصر ، وأن مقاله الاسبوعى « بصراحة » إنما هو أفكار عبدالناصر ، أوهكذا اعتقد الناس ! وأعتقد أن

هيكل قد لعب دوراً فى أن يجعل عبدالناصر لا يتحدث إلى الصحافة المحلية وإن كنت غير واثق بالطبع من هذا الاتهام !

واعتقد أيضاً أنه قيل لعبدالناصر إن الرئيس الأمريكى لا يتحدث إلى الصحافة الأمريكية ، فأغراه المستشارون أن يفعل نفس الشيء على أساس أن الرئيس هو الدولة ! والدولة لا تتحدث مع نفسها ! وإنما تتحدث إلى الأجانب . وهذا فى الواقع تقليد موجود فى الولايات المتحدة ، ولم يحدث سوى مرة أو اثنتين أن أدلى رئيس أمريكى بحديث إلى محرر صحفى محلى .

● قلت : ماذا كان وقع هذه الظاهرة على باقى الصحفيين ؟!

— قال بأسى شديد : هذه الظاهرة كانت نوعاً من الإذلال اليومى للصحافة المصرية ، كان جميع الصحفيين يشعرون أنهم صحفيون من الدرجة الصحفية العاشرة . وكان عبدالناصر يتحدث بالساعات مع صحفى هندى أو يوغسلافى أو باكستانى أو أمريكى أو سوفيتي ولا يجلس دقيقة واحدة مع صحفى مصرى ليدلى إليه بحديث .

ابتسم صلاح حافظ ثم قال لى : مرة واحدة فقط خالف عبدالناصر هذه القاعدة وأدلى بحديث صحفى إلى المرحوم « كامل الشناوى » وكانت أعجوبة صحفية . وكتب كامل الشناوى الحديث بلهجة شاعرية جميلة ورائعة وأدبية إلى أقصى الحدود . وكان هذا يعتبر نصراً صحفياً لم يسبق له مثيل فى الصحافة المصرية .

وأنا لى ذكرى بصدد هذا الحديث بالذات ، لأنى كنت وقتها مسجوناً ، وكتبت رسالة إلى كامل الشناوى أتحدث إليه عن الظروف السياسية الموجودة فى مصر ، و ... و وكنت قد أصبحت مؤيداً لعبد الناصر وثورته بعد إعلان قرارات يوليو الاشتراكية و .. وفوجئت بكامل الشناوى بأن يخصص سؤالاً من أسئلته لهذه الرسالة .

□ مفيش لـزوم !! □

● **قلت : وكسر السادات القاعدة وتحدث لغالبية الصحف والمجلات المصرية وخص « روز اليوسف » بعدد لا بأس به .**

ـــ قال : نعم فى البداية كسر السادات هذه القاعدة ، وأعتقد أن لهذا أسبابه . إن السادات أراد أن يتمايز عن عبد الناصر ويختلف عنه فى هذه الناحية . وثانياً ربما أراد السادات أن يكسب ود الصحافة المصرية بموقفه هذا ، وفى اعتقادى أنه ربما يكون أهم الأسباب أن السادات نفسه كان صحفياً وكان يدرك على عكس عبد الناصر أن حرمان الصحف المصرية من الأحاديث مع الرئيس فيه إذلال للصحافة المصرية ، وأعتقد أن هذا الشعور بالمذلة لا القارىء يدركه ولا الحاكم ولكن الصحفى فقط هو الذى يدركه !

وربما أراد السادات أن يقول إن هيكل لم يعد هو الوحيد الذى يتحدث معى ، وأنتم جميعاً مدعوون إلى مائدة الحديث .

● **قلت : وكيف كان يتعامل مع الأحاديث التى أجرتها معه « روز اليوسف » هل كان يقرأها قبل النشر ؟ هل كان يحذف منها بعض الإجابات ؟!**

قال : لم ينس السادات وهو يدلى بهذه الأحاديث كونه صحفياً . فقد كان يدرك جيداً تفاصيل المهنة ! وكان يعرف أن ما يقوله سيكتب مرة ثانية وبلغة غير التى تكلم بها .. وكان يعلم ما أهمية الحديث لهذه المجلة أو الصحيفة ..

وقد نشرنا فى « روز اليوسف » عدداً من الأحاديث له أجراها الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى والأستاذ عبد الستار الطويلة ، ولم نرسل بنسخة من الحديث إلى رئاسة الجمهورية لكى يقرها بل فقط على سبيل الإعلام وفى

حدود خبرتى أن السادات كان يقول عندما تعرض عليه كصحفى أن نرسل له الحديث ليقرأه قبل النشركان يقول : مفيش لزوم ! اكتبه انت ! أى أنه لم يكن مهتماً بمراجعة أحاديثه أبدا . كان يدلى بالحديث ثم يترك لك كصحفى ان تكتبه كما تشاء .

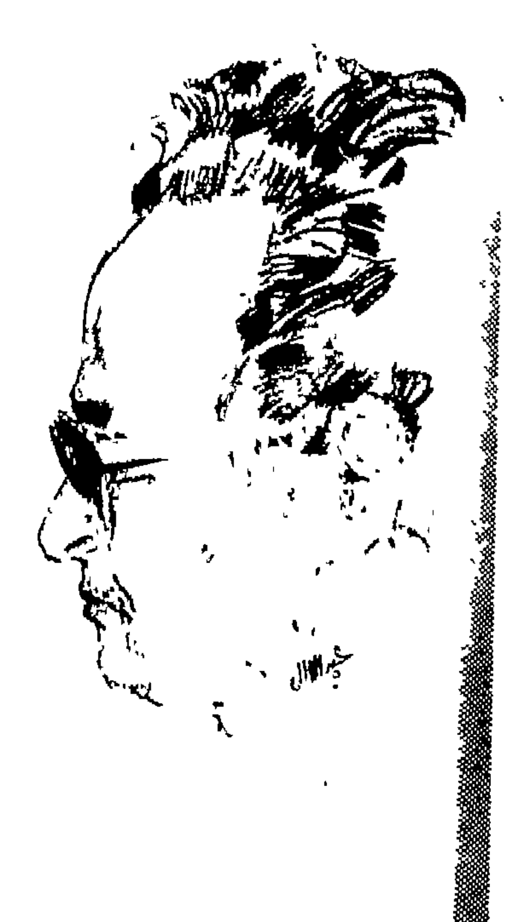
صمت الأستاذ صلاح حافظ كمن تذكر شيئاً وعاد ليقول :

ـــ مرة واحدة فقط طلب منى السادات أن أذهب إليه فى الأسكندرية ومعى عبد الستار الطويلة بشأن حديث أجراه عبد الستار ... و .. و ..

ودار حوار أربع ساعات بين السادات وبيننا حول هذا الحوار المثير ..



■ الحوار السادس ■



١٠ مايو ١٩٨٤

فى حضور عبد الناصر كنا قراء !

- عندما حجب وزير الإعلام أسئلة الصحفيين المصريين !
- أغرب رسالة فى بريد عبدالناصر: جوزى مزعلنى ياريس !
- السادات فى بيته نموذج بحق للرجل البسيط المضياف !
- ليس من الحكمة أن تتكرر «نادرة» رئيس التحرير الشكلى !

□ القذافى وكرباج السادات ! □

● **قلت : ما حكاية حديث السادات معكم ؟!**

قال : نشرنا فى روزاليوسف عددا كبيرا من الأحاديث الصحفية للرئيس السادات ، أجرى بعضها الأستاذ عبدالرحمن الشرقاوى ، والبعض الآخر أجراه الأستاذ عبدالستار الطويلة ، وكما قلت نشرنا هذه الأحاديث كما سمعناها بالضبط ، وكتبناها دون أى تدخل من جانبه ! ولا أعرف إذا كان هذا موقفه مع الصحفيين الأجانب أم أنه موقف اختص به صحفيى مصر ربما لأنه يعرفهم شخصيا ، أو يثق أنهم لن يقولوا على لسانه كلاما لا يقصده . وربما من باب الثقة فى هذه الأسماء !

وذات يوم عاد الزميل عبدالستار الطويلة من رحلة خارج مصر ، وقبل عودته كان قد أجرى حوارا صحفيا مثيرا مع العقيد القذافى ، وفى ذلك الوقت كانت العلاقات مع ليبيا فى أسوأ درجات التوتر . وأخذنا نقرأ الحديث وكان بالفعل سبقا صحفيا هاما وخطيرا ، وفيه يقول القذافى معلومات مثيرة ، كانت كل واحدة تصلح لمانشيت صحفى يكون حديث الناس فى مصر والخارج ..

● **قلت : مثل ماذا ؟!**

ابتسم وقال بعدها : إن القذافى يقول مثلا السادات أخى الأكبر ومن حقه أن يمسك بالكرباج ويضربنى !!

المهم قررنا أن يكون غلاف المجلة هو هذا السبق الصحفى الخطير ، وأعددنا الحديث للنشر . ثم قال لنا الأستاذ الشرقاوى رئيس مجلس الإدارة : أعتقد أنه من الذوق أن نرسل نسخة من هذا الحديث إلى السادات ليطلع عليها لأن ما فى هذا الحديث يهمه شخصيا . وفعلا أرسلنا نسخة من الحوار إلى رئاسة الجمهورية . وكانت المفاجأة أن يتصل بى الرئيس السادات نفسه قائلا فى التليفون :

ـــ أنا قريت الحديث بتاع الولد ده ؟!

وقلت للسادات : ما رأيك فيه ياريس ؟

قال السادات : الحديث ده مليان أكاذيب وافتراءات !

قلت : أكاذيب إيه ياريس اللى فى حديث القذافى .

ضحك الرئيس السادات وقال : لا .. ياصلاح دى مسألة يطول شرحها ومينفعش الكلام فى التليفون .. أنت تجيب عبدالستار الطويلة وتعالوا اسكندرية نتناقش فيه !

لحظة صمت .. عاد بعدها صلاح حافظ يقول : كان ذلك فى شهر رمضان وسافرت أنا وعبدالستار إلى الأسكندرية . وصلنا ليلا . توجهنا مباشرة إلى استراحة الرئيس فى المعمورة بعد الإفطار .. قابلنا السادات وكان يرتدى جلابية بيضاء صيفى ذات أكمام واسعة . عانق عبدالستار ثم عانقنى وسألنا عن الصحة والأولاد وعاملين إيه فى الصيام وكده ..

ثم جلسنا ، وجلس السادات وتربع على « كنبة » وطلب لنا شايا وبدأ يتحدث :

- أنا قريت الحديث ياأولاد .. وعارف أنه لقمة صحفية كويسة .. ومش عاوز أحرمكم منها .. وانتم أحرار تماما تنشروه أو لا تنشروه .. بس عاوزكم تعرفوا القذافى كذاب فى إيه وإيه من الكلام اللى قاله فى الحديث ..

يكمل صلاح حافظ : وأخذ السادات يتحدث لمدة أربع ساعات كاملة معنا وبين وقت وآخر ينادى على من فى البيت قائلا : عاوزين شوية شاى .. انتو بخلاء ولا ايه ، وكان السادات نموذجا بحق للرجل الريفى البسيط المضياف ..

وأخذ السادات فى هذا الحوار الطويل يفند كل ما قاله القذافى ثم قال لنا : آدى الحقائق قلتها لكم علشان تكونوا فى الصورة إنما أنتم أحرار فى النشر . وأذكر أننى قلت للسادات يومها : ولماذا لا ترد عليه ياريس بهذه المعلومات التى قلتها لنا . وضحك السادات وقال لى : طبعا ما هو انتو عاوزين ترفعوا التوزيع وتعملوا سبق صحفى ! بالطبع فهم السادات أن اقتراحى هو اقتراح صحفى يحقق خبطة صحفية عالمية ، القذافى يقول والسادات يفند ما يقول فى نفس العدد من المجلة .

وقال السادات لى : لا يا صلاح أنا مش هارد عليه .. دى معلومات لكم أنتم واتصرفوا كما تشاءون .

انتهى اللقاء مع السادات وعدنا للقاهرة وقررنا نشر الحديث كاملا وكتبت تعليقا فى صفحتين من خلال بابى « قف » عنوانه من الأرشيف السرى لمعلومات روزاليوسف : العقيد أمـام الكامـيرا .. ووراءها ! .. واستفدت من المعلومات التى رواها السادات فى كتابته ولم أنسب معلومة واحدة مما سمعنا من السادات ونسبنا المعلومات إلى أرشيف معلومات روز اليوسف ، أذكر أننى قلت فى هذا المقال : إن المشكلة مع العقيد القذافى

كانت دائما سرعة التحول فى مواقفه ، والتناقض المثير ما بين دوره أمام الكاميرا ودوره وراءها ..

وكان الهدف من نشر مقالى مع حديث عبد الستار مع القذافى أن الحديث يجب أن يكون متوازنا بين طرفى خصومة .

وهنا ندرك أن السادات كان أكثر قربا للصحافة من عبد الناصر وأى حاكم سابق وأنه كان يدرك أهمية الحديث الصحفى الذى يدلى به للصحفى أو للصحيفة ولذلك لم يقل مثلا لا تنشروا الحديث بل قال : أنا مش عاوز أحرمكم من هذه اللقمة الصحفية الشهية . وأعتقد أن أى حاكم لا يفعل هذا الموقف إلا إذا كان صحفيا .

□ الحكومة ترفضنا كيسار حكومى ! □

● قلت : ورغم ذلك مثلا اتهم العقيد القذافى روزاليوسف أنها يسار حكومى ، وبعض فرق اليسار نفسها فى مصر والعالم العربى اتهمت روزاليوسف بنفس التهمة ؟ ماذا تقول ؟!

قال : نعم طلبة الجامعة أيضا قالوا لى هذا الكلام . وأذكر أنهم كانوا فى زيارة روزاليوسف وقالوا : أنتم يسار حكومى . ويومها قلت لهم ياريت ! يسمع منكم ربنا ستدفع الثمن استجابة لبعض ما ينادى به المشكلة ليست فى أن الحكومة تريد أن تشترى اليسار . المشكلة أصلا أن الحكومة ترفض تماما أن تشتريه .

● سألت بدهشة · اليسار يعرض نفسه للبيع والحكومة ترفض الشراء !! لماذا ياسيدى ؟!

قال : لأن الحكومة عندما تشترى اليسار .. على الأقل سوف تجامله تنفذ شيئا مما ينادى به ، المشكلة أننا نسعى سعيا حثيثا وبإصرار إلى إقناع

الحكومة بأن تقبل وجود اليسار .. وفى اليوم الذى تقول فيه الحكومة أنها قررت شراء اليسار « سنزغرد » وحنعمل فرح فى كل حتة المشكلة أن الحكومة تعتبر اليسار نوعا من السرطان تتجنبه وتتجنب التعامل معه ، وإذا كلمته تضع بينها وبينه لوحا من الزجاج حتى لا تصيبها عدوى افكاره .

● قلت : ولماذا يعتبركم الشباب دائما يسارا حكوميا ؟! هل هو نوع من المراهقة فى التفكير السياسى ؟

قال : أيوه .. هـذا نوع من الحمـاس والتطرف . والشبـاب دائما متطرف ، وأنا شخصيا كنت مثلهم تماما عندما كنت شابا ، والمشكلة كما قلت أن الحكومة لا تريد أن تقتنع أو حزبها يقتنع أن الحلف الوطنى الحقيقى هو حلفها مع اليسار ، لأن اليسار وطنى . وأرفض تماما أى ادعاء بأن هناك يسارا وطنيا وآخر غير وطنى ، واقول ايضا أن وجود اليسار ضرورة . لأن اليسار بكل فرقه يجمعه شىء واحد أنه المطالب بالتغيير . إذن فوجوده ضرورة ، ولو تصورنا مصر بدون يسار سيصبح الصراع فيما بين انصار الماضى « اليمين » وانصار بقاء الوضع كما هو عليه . أما فى وجود اليسار فهناك ثلاثة احتمالات : الرجوع للوراء .. أو البقاء على نفس الأوضاع أو المستقبل . إذن اليسار ضرورة اجتماعية ، وعندما يقولون أننا يسار حكومى اقول ياريت لأن هذا يعنى أن الخطوة القادمة فى التطور ستكون فى اتجاه يسارى . وكنت اقول لطلبة الجامعة احنا مشكلتنا أن الحكومة مش راضية تشترى اليسار !!

ولم اكن اقصد بالشراء طبعا أن تأخذ الحكومة من اليسار أشخاصا يتخلون عن برنامجه ويصفقون لأخطائها ، فهذا ليس شراء ، وإنما

استمرار للحرب ، وأسر لبعض قوات اليسار ، ولو قبل اليسار كل صفقة من هذا النوع لكان هو المشترى ، لإنه هو الذى سيكون قد دفع الثمن !

□ جيهان السادات والصحافة ! □

● **قلت : فى حياة الرئيس جمال عبدالناصر لم نقرا حديثا واحدا للسيدة الجليلة زوجته . وفى حياة الرئيس السادات قرانا عشرات الأحاديث الصحفية للسيدة جيهان . واطلقت عليها الصحافة لقب « سيدة مصر الأولى » هل قرات السيدة جيهان الأحاديث التى اجريتموها معها فى روزاليوسف قبل النشر .**

قال بحسم : لا .. لا .. إطلاقا !

● **عدت لأسال : ولا فى الأحاديث التى تناولت بعض الأمور الشخصية للرئيس السادات ؟**

قال : إطلاقا .. أية أمور شخصية تقصد ؟

● **قلت وقد نفد صبرى : ان تقول السيدة جيهان مثلا فى حديثها إلى الزميلة مديحة عزت : انا اصبحت مقصرة ومشغولة عن البيت .. ولكن الرئيس يشجعنى .. انه زوج مريح جدا لزوجته .. ليست له مطالب خاصة ، ولا يطلب عناية مبالغة فيها !**

ضحك صلاح حافظ وعدت لاقول متسائلا : الم تعرضوا على السيدة جيهان قبل النشر كلماتها عن السادات : عندما يكون مزاجه مستريحا فإنه يدندن على خفيف .. ويغنى ايضاً فى الحمام .. وغالبا من الحان عبدالوهاب !

جلجلت ضحكة صلاح حافظ من أعماق قلبه وقال :

ـ صدقنى لم يحدث ولم نستأذن فى نشر هذا الحديث بالذات ..

والسيدة الزميلة مديحة عزت انفردت بمثل هذا النوع من الأحاديث التى تقتحم به بيوت وقلوب وضمائر الذين تتحدث معهم وعنهم . وأذكر أنها بدأت هذا الاتجاه بحديث مع الأستاذ العقاد ، ونجحت فى أن تجعله يتحدث على راحته وعلى حريته فشتم جميع الناس ونشر الحديث وكان عنوانه « العقاد يشتم كل الناس » .

عاد صلاح حافظ ليقول : انفردت السيدة مديحة عزت بهذا النوع من الأحاديث الجذابة ، تقابل رجل السياسة فتحدثه فى الأمور المنزلية ! تقابل فنانة فتكلمها فى السياسة ! وكان هذا ما فعلتـه مع السيـدة جيهان السادات ، فقد قابلتها وأجرت معها الحديث كزوجة وربة بيت ، وهو جانب يستعذبه القراء ويحبونه . فنحن عادة نعرف عن المشاهير ورجال السياسة آراءهم وأفكارهم ولكن لا نعرف عنهم كيف يعيشون داخل البيت ، وماذا يأكلون .. إلخ . وأعتقد أن الصحف التى نشرت عن عبد الحليم حافظ أشياء أخرى غير الغناء والموسيقى مثل أسرته .. وأخوته .. وأمه ويتمه قد باعت أكثر .

● **قلت : ربما كانت الدهشة مبعثها كلمات السيدة جيهان عن غناء السادات فى الحمام مثلا ؟**

قال : كان نشر مثل هذه التفاصيل شىء لا يسمح به شخص آخر غير السادات نفسه الذى هو صحفى ويدرك معنى المادة الصحفية التى تجذب القراء ، كما انه كان بالقطع يدرك أن القارىء المصرى عندما يعلم أنه يغنى فى الحمام فهذا لا يقلل من قدره . بالعكس قد يسرنى هذا ـ كقارىء ـ لأننى أنا أيضا أغنى فى الحمام .

ملحوظة : صوت صلاح حافظ من ارق الأصوات بشهادة الموسيقار عبدالوهاب نفسه !

والجماهير تحب الحاكم أن يكون قريبا منها . فإذا كنت مثلا من عشاق اكل الفول المدمس بالزبدة يسرني كمواطن وقارىء أن أعلم أن الحاكم مثلى يتناول فى إفطاره فولا بالزبدة ولن تسىء هذه الحقيقة إلى الحاكم !

اتدرى ماذا كان أكثر ما نفذ إلى قلوب أوسع الجماهير المصرية مما كتب الأستاذ هيكل عن عبدالناصر ؟ كان قوله أن طعام عبد الناصر المفضل كان الجبن الأبيض والخبز الجاف ويوم نشر هيكل هذا الحقيقة البسيطة عرف بها فى نفس اليوم حتى الذين لا يقراون وتهلل الناس لها . وجدوا عبدالناصر مثلهم .

ابتسم صلاح حافظ وعاد يقول : أذكر وأنا طفل صغير ـ وكنا نعيش فى الفيوم ـ أن الملك فاروق وكان وقتها أصغر من السن القانونى ولذلك شكل مجلس وصاية للحكم إلى أن يبلغ السن القانونى ، ونشر يومها فى إحدى الصحف أن وجبة فاروق المفضلة هى الفول المدمس .. وسعدت سعادة شديدة بذلك ، لأنه مثلى يأكل الفول المدمس ، وأننى لا أفترق شيئا عن الملك . وكان من جيراننا بالصدفة رجل يعمل فى مطبخ السراى الملكية . وفى اجازته كان يأتى إلى الفيوم . وأذكر أننى سألته بطفولة ساذجة يومها : هل صحيح يا عمى أن الملك يأكل فول مدمس ؟! ولدهشتى قال نعم ولكن بطريقة مختلفة ، حيث كان يتم نزع قشر الفول ثم يدهك وبعدها يسيح قدر من الزبدة ويلقى فيه هذا الفول المدهوك ، ويترك قليلا على النار ثم يضاف إليه قدر من اللبن الحليب .

وأذكر أننى ظللت ستة أشهر كاملة وأنا لا أطلب من أمى سوى أن تصنع لنا الفول بهذه الطريقة « الفاروقية » .

● قلت ضاحكا : اهدى طريقة صنع هذا الطبق لزوجاتنا العزيزات ؟

· قال ضاحكا اسأل زوجتك أولا كم يتكلف اللبن والزبد اللازمان لمثل هذا الطبق الآن . فقد أصبح طبقا ملكيا بالفعل !

وأضاف : مغزى هذه القصة التى رويتها لك أن تصوير الحاكم فى حياته اليومية كإنسان يأكل ويشرب مثلنا فهذا يكسبه شعبية أكثر وليس كما يتصور الفاشيست وأمثالهم من ضرورة تصوير الحاكم كشىء فوق مستوى البشر . وفى عصر عبد الناصر كان معاونوه حريصين على تصوير عبد الناصر فى الصورة الإلهية ، أما السادات كصحفى فقد كان أذكى وترك وشجع كل صحافة وقلم صوره فى الصورة البشرية ، فكان حرصه على ارتداء الجلابية ، وأن يمسك بالعصا مثل أى فلاح مصرى لأنه يدرك أن هذا يلمس قلوب الناس أكثر .

□ عبدالناصر عن قرب : أنجح !! □

● قلت : الا يفيد الزعامة ان تنسج حولها هالة من التمجيد ؟

قال : الدليل على أن الخطة الدعائية التى تحاول تصوير الزعيم على أنه فوق مستوى البشر هى خطة فاشلة ولا تلمس قلوب الناس ، إننى عندما كنت رئيسا لتحرير مجلة آخر ساعة ، كانت قد انتهت مدة عبدالناصر كرئيس للجمهورية ، وسوف يتقدم مرة أخرى ، جميع المجلات والجرائد اصدرت أعدادا خاصة عن منجزات عبدالناصر السياسية والاقتصادية .. إلخ . وخطر فى بالى فكرة مغايرة تماما ، أن نصدر عددا من آخر ساعة يصور عبد الناصر فى بيته ومع أولاده وفى حياته اليومية ..وأرسلت بعثة من

الصحفيين إلى بلدته « بنى مر » فى أسيوط لترى أهله هناك على الطبيعة وكيف يعيشون ، وعاد فاروق إبراهيم المصور بكمية هائلة من الصور عن أهل عبدالناصر البعض يعمل فى الغيط ومن يسوق الجاموسة وهكذا ..

وأرسلت محررا من المجلة ليقرأ بريد عبدالناصر اليومى ويكتب عنه موضوعا صحفيا . وكان بالفعل بريد عبدالناصر الذى يأتى إليه بريدا عجيبا ومضحكا : مثلا امرأة زعلانة من جوزها فترسل تشكوه لعبدالناصر . كما أعددنا تحقيقا صحفيا رائعا عن حياة عبدالناصر اليومية : متى يستيقظ من نومه ؟ ماذا يفطر ؟ كيف يعمل ؟ ماذا يقرأ ؟ أين يستقبل زواره وضيوفه ؟ وطلبنا من المصور حسين بكر أن يمدنا بكل ما يملك من صور صحفية ، واخترنا منها مئات الصور .. وعثرت على صورة نادرة ملونة لعبدالناصر وهو يرتدى قميصا صيفيا ويقف على ساحل البحر المتوسط فى المنطقة التى كان يقضى بها الصيف بعيدا عن القاهرة وأصدرنا عدد آخر ساعة وغلافه كانت هذه الصورة وعنوان واحد فقط : عبدالناصر عن قرب !

وكانت كلمة « عن قرب » هى مفتاح هذا العدد ، لأن الناس كانت تعرف عبدالناصر « عن بعد » ولا يعرفونه « عن قرب » .. ونفد العدد فى الحال ، فطبعنا ضعف ما كنا قد طبعناه ونفد أيضا .

هذه التجربة « عبدالناصر عن قرب » أكدت لى كصحفى ما كنت أعرفه وما كان يعرفه السادات أيضا أن الحاكم القريب من الناس . الذين يمكنهم أن يتوحدوا معه وأن يشعروا أنه مثلهم هى الصورة الأنسب للحاكم من صورة الكوكب المطل من عليائه .

□ تحولنا فى حضور عبدالناصر إلى قراء ! □

● **عدت لأسأل : وهل كان عبدالناصر على معرفة بهذا العدد .. وهل اطلع على مواده وصوره وهل كانت له ملاحظات مثلا ؟!**

قال : بعد أن تم إعداد العدد تقريبا .. أخذت كل الصور التى حصلت عليها وذهبت لمقابلة السكرتير الخاص لعبد الناصر وكان « محمد أحمد » وقتها وعرضت عليه الصور التى حصلنا عليها من حسين بكر وفاروق إبراهيم . ثم أخذها ودخل إلى عبدالناصر وغاب لمدة ثم عاد وقال لى :

— الريس موافق على كل الصور وبلاش صور موضوع بنى مر خالص !

● **قلت لصلاح حافظ : ولماذا ؟**

قال : فيما بعد سمعت أن أهل عبدالناصر فى « بنى مر » كانوا قد تجبروا وأصبحوا إلى حد ما غير مرضى عنهم من أهل القرية والناس متضايقة منهم !

● **قلت : ولم تقابل عبدالناصر ايضا فى تلك المرة ؟!**

قال : إطلاقا .. طول حياتى لم أقابله مقابلة شخصية . إنما رأيته فى مؤتمر صحفى !

● **قلت بإلحاح : وخلال المؤتمر الصحفى الم تخاطبه .. تسأله مثلا ؟!**

قال : إطلاقا .. لم يحدث أن خاطبته على الإطلاق ! وحتى هذا المؤتمر كان من أغرب المؤتمرات الصحفية . كان المؤتمر فى أعقاب الأزمة مع إسرائيل وبعدها بفترة قليلة نشبت حرب يونيو ١٩٦٧ ، حضر هذا المؤتمر الصحفى مراسلون وصحفيون من كل أنحاء العالم ودعى رؤساء التحرير

المصريون لحضور المؤتمر وأخذ كل صحفى يكتب أسئلته وتسلم إلى الأستاذ محمد فائق الذى كان يجلس بجوار الرئيس عبدالناصر ، وكتب الصحفيون المصريون مالديهم من أسئلة وسلموها أيضا لمحمد فائق . وبدأ المؤتمر الصحفى بأن يقدم فائق الأسئلة إلى عبدالناصر ليجيب عنها .. وسلم محمد فائق كل إسئلة الصحفيين والمراسلين الأجانب إلى عبدالناصر وأجاب بدوره عنها جميعا .. ولم يسلم له أسئلة الصحفيين المصريين .

● سألت لماذا ؟

قال : لا أدرى ياسيدى .. ولكن ما أدريه أننا فى هذا المؤتمر الصحفى لم نكن صحفيين وإنما كنا « قراء » أتينا نستمع لأسئلة الصحافة الأجنبية وإجابة عبدالناصر عليها ، ونتفرج علي ذلك كله .

لهذا أقول إن الصحافة المصرية على إطلاقها كانت تشعر المذلة وأنها صحافة من الدرجة الثانية إذا ما قورنت بالصحافة الأجنبية ولو كانت صحافة بلاد أقل قدرا من الصحافة المصرية !!

● قلت : بعد صدور قانون تنظيم الصحافة صار التنظيم السياسى المالك للصحيفة هو الذى يعين رئيس التحرير .. ويطرح البعض ضرورة اختيار رئيس التحرير بالانتخاب ! ما تصورك لهذه المشكلة ؟!

قال لى صلاح حافظ : أنا رأيى أن قضية انتخاب رئيس التحرير هذه قضية مبنية على سذاجة ! وعدم فهم كامل لمهنة الصحافة . لأن رئاسة التحرير مسألة تشبه إخراج الفيلم السينمائى ـ وأنا أتكلم من الناحية المهنية البحتة ـ فلا يمكن عند إخراج الفيلم أن نأتى بكل العاملين فيه ونطلب منهم انتخاب المخرج . فمن الممكن جدا أن يكون مثلا عامل الإضاءة

قد قام بتسليف كل العاملين فى الفيلم مبالغ نقدية لذلك سوف ينتخبونه مخرجا !!

وليس شرطا أن يكون رئيس التحرير هو احسن كاتب أو صحفى . وإذا نظرت لمجلات مثل « التايم » أو « النيوزويك » لن تجد رئيس التحرير كاتبا معروفا ! لكن رئيس التحرير هو « مايسترو » ناجح فهو يعرف أن فلانا ينجح إذا كتب الموضوع الفلانى ، وفلانا ينجح إذا رسم حملة معينة .. وهكذا . وفى نفس الوقت لابد أن يتوفر لرئيس التحرير حس نقدى ممتاز . فيدرك أن هذا الموضوع لذيذ او بايخ وأن هذه النكتة سخنة أو باردة ودمها ثقيل !! وهذه كفاءة ضرورية لرئيس التحرير لن تاتى بالانتخاب . ولكن إذا اجريت انتخابات داخل الصحيفة لاختيار رئيس التحرير فسوف ينجح صاحب أعلى كفاءة انتخابية وليس صاحب أعلى كفاءة فى النقد والتذوق والحس المرهف وتحميس الناس وشحنهم وقيادتهم . ومن الضروى أيضا ان يتوفر فى رئيس التحرير جزء إدارى ناجح وكذلك جزء قيادى ناجح . بصرف النظر عن كونه كاتبا أم لا !!

فمثلا توفيق الحكيم كاتب عظيم . ولو أعطيته رئاسة تحرير جريدة ، فلن تنجح لأنه رجل فنان ، وإذا طلبت منه رئاسة جمعية مثلا يجرى منك ويصرخ : ابعد عنى !!

وكما أنك فى جميع المهن الاخرى تختار القيادة الكفؤ فكذلك الصحافة !!

والنقطة الثانية أن رئيس التحرير لابد أن يكون لديه سلطة مطلقة لأنه أولاً هو المسئول قانونا عما يكتب وينشر فى الصحيفة أمام الرأى العام والمسئولين والقانون .. وليس من المنطقى أن يكتب الصحفى ما يشاء ثم يحبس ويسجن رئيس التحرير !

إذن رئيس التحرير مطلوب أن يتوفر فيه الكفاءة ، ومطلوب إعطاؤه سلطة . ومن هنا فإذا اخترت رئيس التحرير بالانتخاب فستصبح سلطته دائما مقيدة . لأن حدود سلطته خاضعة للناخبين وليس لتقديره كصحفى هذه مهنته وهو يفهمها أكثر من غيره .

وسيكون رئيس التحرير فى وضع فريد من نوعه : مسئوليته أمام القانون مطلقة ، وسلطته فيما يجرى باسمه مقيدة ، وأذكر أن بعض الصحف المقاتلة قبل الثورة ـ ومنها روزاليوسف كانت تحمى رئيس تحريرها الفعلى باختيار رئيس تحرير شكلى تكتب اسمه على الصحيفة ، حتى يسجن بدلا منه ! وكان هذا مما نتندر به ، ولا أظن أن من الحكمة بعد ـ خمسين عاما ـ أن نكرر نفس النادرة .

اخيراً لابد أن نحترم المثل الشعبى المصرى القائل : اعط العيش لخبازه ولو يحرق نصفه !!

□ حكايتى مع الكاريكاتير ! □

● قلت : فى رسالة دكتوراه عن الكاريكاتير السياسى فى السبعينيات للدكتور عمرو عبدالسميع اكد فيها ان اكثر رؤساء التحرير فهما لوظيفة الكاريكاتير وإمكان استخدامه السياسى هم هيكل ، مصطفى امين ، واحمد بهاء الدين ـ وصلاح حافظ ، ومكرم محمد احمد ما حكايتك مع الكاريكاتير ؟!

قال : أنا أعتقد أن الكاريكاتير اداة تعبير هامة مثل المقال أو الصورة كما أنه اداة تعبير ممتعة كما ان تأثيره عميق ، ولقد شاركت فى صياغة أفكار الكاريكاتير فى روزاليوسف مع الأستاذ إحسان عبدالقدوس فى الاجتماع

الذى كان يحضره عبد السميع . بعد ذلك عايشت وصادقت واحدا من أخطر أصحاب الأفكار الكاريكاتيرية وهو الفنان مأمون الشناوى وياما جلسنا مع زهدى وآخرين وكان مأمون الشناوى يلد كل ثانية عشرات الافكار الكاريكاتيرية ، مأمون ابن نكتة .

وأنا فى معالجتى للكاريكاتير سواء كرئيس تحرير أو غيره أننى أنظر للكاريكاتير . عندما أحس أنه فى أهمية مقالة أقرر نشره فى صفحة كاملة . كاريكاتير آخر ممكن يكون بمثابة مانشيت فاعمله غلاف المجلة .

● قلت : ذات يوم وفى أعقاب صدور قانون تنظيم الصحافة وعندما اجتمع الرئيس عبد الناصر بالقيادات الصحفية امسك مجلة صباح الخير وقال فى غضب : الصورة الكاريكاتورية اللى بتمثل الزوجة على انها خاينة لانها حطت ثلاثة فى دولاب .. ابدا مش دم مجتمعنا . انا معرفش انا مش متصور إن مجتمعنا فيه زوجة بتحط ثلاثة رجال فى الدولاب . وعلشان كده بتحط لهم تكييف هواء .. ده مجتمع مين انا معرفش .

ضحك صلاح حافظ وقال : وكان هذا الكاريكاتير ايضا للأستاذ حجازى المهم بالنسبة للكاريكاتير عموما هناك قاعدة المفروض أن يلتزم بها رؤساء التحرير والحكام . لابد أن يعرفوا أن الكاركاتير ليس خبرا لا يقول حقيقة علمية انه فن يبالغ ويضخم . لأن النكتة مبنية على المفارقة والخيال والوهم . أما إذا رسم نكتة لمسئول ما ومناخيره كبيرة شوية قد تجد المسئول يصيح : مؤامرة .. لأنه لا يدرك أن الكاريكاتير يعنى الدعابة والمبالغة . ولما تيجى الدولة تحاسب رسام الكاريكاتير عندما يقول مثلا أنه مفيش رز على انه كذاب ويزيف الحقائق هنا يحدث له إحباط وقد يهاجر .. و .. وهذا ما قلته للسادات بشأن كاريكاتير لحجازى .



غلاف حجازى وغضب عبد الناصر !

● **قلت : ماذا تقول عن حجازى ؟!**

قال : واحد من عباقرة الكاريكاتير فى مصر ونموذج نـادر ، رشيق الفكرة . رشيق الخط ، ساخر بالفطرة ـ وهو فنان أكثر منه سياسى .

● **قلت : وصلاح جاهين ؟**

قال فنان موهوب . والفكرة العادية عندما يرسمها تصبح فى منتهى الطرافة ، وكاريكاتيره شديد البساطة ، لذلك فهو قريب من الشارع .

● **قلت : وبهجت ؟**

قال : من الموهوبين فى الكاريكاتير الاجتماعى ، موهوب للنكتة الجميلة جدا ، وهو من النماذج التى تأثرت بالجو العام فاتجه ناحية الكاريكاتير السياسى ، ولا أدرى لماذا يتجه كل الرسامين إلى مجال السياسية ، لأن هذا أضعف الكاريكاتير الاجتماعى وهو لا يقل أهمية عن الكاريكاتير السياسى يعنى كونك تنقد علاقتى بزوجتى لا يقل أهمية عن نقد الشعب للحكومة .

ومن العيوب التى أصابت الكاريكاتير المصرى أنه انصرف إلى الاتجاه السياسى وأصبح الكاريكاتير الاجتماعى قليـلا وكذلـك الفنى . يعنى ابتسامات « رمسيس » عن التليفزيون حلوة ولذيذة لأن زى ما بقولك الكاريكاتير أداة تعبير مثل الكتابة . وتصور مثلا أن جميع الكتاب بقوا يكتبوا سياسة ومحدش كتب فى الفن أو الأدب أو الحموات .. مش معقول طبعا .. وتبقى الحياة بايخة قوى !

● **قلت : عبدالسميع ؟**

قال : ابن نكتة ، باحث دائما عن الجديد ولا يدفن نفسه فى إطار مذهب فنى ، يعنى لو زهق من الرسم يكتب قصة ، ولو زهق من كتابة القصة يؤلف مسرحية أو زجلا رياضيا وهكذا .

● قلت : وإيهاب ؟!

قال : كاتب يقول وجهة نظره بالكاريكاتير .. ولا أذكر أننى راجعته فى أى كاريكاتير قدمه لى خامة شخصيته فرقع لوز .

● قلت : وزهدى ؟!

قال : نحات خطير جدا وهو بارع فى الكاريكاتير السياسى ، وهو فنان محب للكاريكاتير ، ومصر خسرت كثيرا أنه لا يوجد فى ميادينها تماثيل من صنع زهدى ..وهو يأتى وراء المثال مختار مباشرة ، وهو أكثر فنان مظلوم فى مصر من حيث الشهرة والدخل .

● قلت : وناجى !

قال : فنان وهو كنز من المقدرة التشكيلية ، كاريكاتيره لا يؤذى أحدا لأن ناجى شخصيا لا يستطيع أن يؤذى أحدا ، والكاريكاتير لكى يكون لاذعا لابد وأن يكون فيه « حتة شر » !!

● قلت : ومصطفى حسين ؟!

قال : رسام عظيم وفنان أعظم ولا أدرى إيه اللى خلاه انصرف إلى الكاريكاتير لأنه فنان تشكيلى ممتاز بالظبط زى حالة الأديب اللى يكتب فى الصحافة .

● الليثى : رجل ابن بلد وابن نكتة وصارخ بالآلام ، وهو لم يكن رساما بل كان كاتبا ، وكانت الناس تقرأ السطر الذى يكتبه لا الرسم الذى يعلوه .

● رؤوف : فنان يمسك بعود ومازال يجرب أى نغماته التى يستقر عليها .

واعتقد ان رؤوف يعيش الحياة ويستمتع بالحياة وقتا أطول مما يقضيه فى الرسم .

- رمسيس : دمه خفيف ولديه المقدرة أن يرى النكتة غير المتوقعة . ويقول فكرته باقل عدد ممكن من الخطوط . وهو من القلائل الذين لم يبتلوا بعد بداء السياسة .

- اللباد أستاذ فنان مستغرق فى القيم الجمالية والتشكيلية ، ولكى تفهم كاريكاتيره لابد أن تكون مثقفا فنيا ومتذوقا للفنون التشكيلية !

- شريف : لا يرتفع أحد إلى مستواه فى البورتريه الكاريكاتيرى . لم يصل أحد إلى هذا المستوى منذ « سانتس » وزهدى .

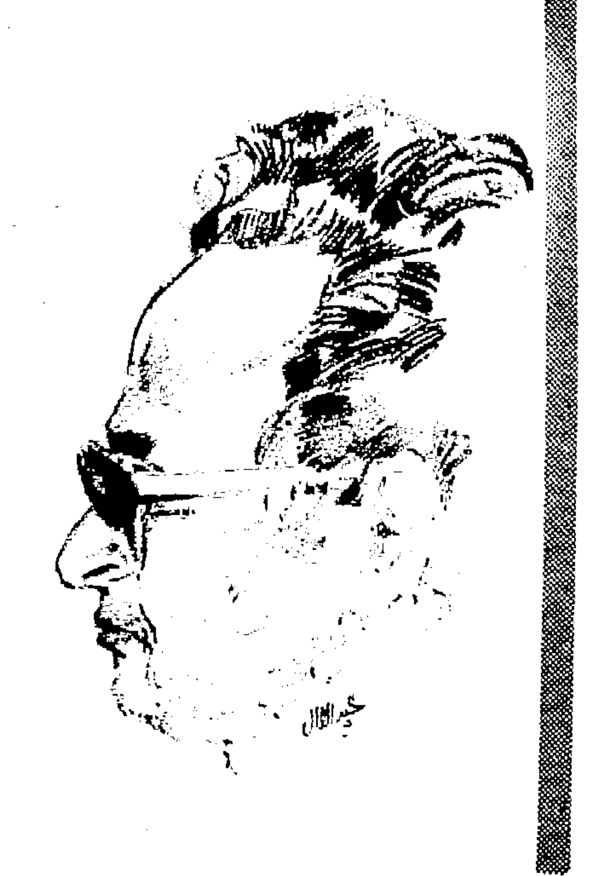
- محسن وجمعة : كلاهما يضبط أوتاره ويتهيأ لعزف .. أعتقد أنه سيكون جديدا وممتعا .



●



■ الحوار الأخير ■



الصحافة عمري !

- لم تستطع دراسة الطب أن تنسينى اهتماماتى الأدبية !
- فزت بالجائزة الأولى فى مسابقة القصة لوزارة المعارف !
- لا أزال أجهل لغز انتشار مقالات « انتصار الحياة » !
- لم تمنعنى يساريتى من الانبساط بالعمل مع على ومصطفى أمين !
- هــنا هــو ســر روز اليوســف دائمــا !

هذا الحوار الأخير لم ير طريقه للنشر الصحفى !

ليس بسبب الرقابة ـ فلم تكن موجـودة ـ ولا اعتراض رئيس التحرير « لويس جريس » لأنه كان يطمح أن تمتد السلسلة لأسابيع أكثر !

لم ينشر الحوار بسبب صلاح حافظ نفسه وكانت وجهة نظره : ما الذى يهم الناس فى طفولتى وشبابى وبداياتى الأولى .

وإزاء إصراره .. كان الاحترام لرغبته ، لكنها لابد أن تنشر هنا ضمن فصول الكتاب حتى تكتمل الصورة تماماً !

□ شبابى فى الفيوم !! □

● **قلت : لماذا الصحافة عشقك الوحيد ؟!**

قال صلاح حافظ : أساسا أنا دخلت مجال الصحافة من باب الأدب ! فعندما كنت فى المرحلة الابتدائية كنت أحاول كتابة الشعر ـ بالطبع كان شعر طفولى ـ وفى مرحلة الدراسة الثانوية كتبت القصة ، بشكل عام كنت مهتم بالأدب . وبكتابات المنفلوطى الرومانسى ، وطه حسين المستنير ، وتوفيق الحكيم الفنان ، وكنت قارئا مستديما لأعظم مجلة ثقافية شهدتها

مصر وهى « الرسالة » التى كان يرأس تحريرها الأستاذ أحمد حسن الزيات .

فى تلك الفترة كان كبار الادباء والكتاب والمثقفين يكتبون فى مجلتى « الرسالة » و« الثقافة » فجعلوا للأدب رواجا شعبيا ، وكان الأدباء والشعراء هم نجوم المجتمع . وكانت الصحف تنشر القصائد فى صدر صفحاتها الأولى ..وكانت قصيدة أمير الشعراء « شوقى » ينشرها الاهرام فى الصفحة الأولى ، فتصبح حديث الناس فى مصر والعالم العربى .

فى نفس الوقت كنت أقرأ بكثافة شديدة المجلات التى كانت تصدر فى تلك الأيام . مثل آخر ساعة وكنت مفتونا بأسلوب التابعى ! وأقرأ أيضا مجلة « البعكوكة » الفكاهية وأقلد ما ينشر بها من زجل !

إذن كان المثقفون والأدباء هم القدوة والمثل الاعلى بالنسبة لى ولجيلى . كما أن قدوة الشباب هذه الأيام هم نجوم الغناء والتمثيل والكرة !! ولم يكن التليفزيون أو الفيديو قد غزا حياتنا بعد !!

والذى ساعد على أن يكون قدوة جيلى هم المثقفون أن الحركة الوطنية وقتها كانت محددة الاتجاه جدا وتعرف أن لها مهمة واحدة هى إخراج الإنجليز من مصر ! وكان القادة والزعماء الذين يتصدون لهذه المهمة العظيمة أغلبيتهم من المحامين . وكان المحامى وقتها يمثل الثقافة والبلاغة والخطابة والحق والواجب والقيم النبيلة . وكان القاضى عندما يتكلم فى المحكمة أو عندما يترافع المحامى كنت تستمع إلى درر ولآلىء من الأدب والبلاغة والفصاحة .

وسط هذا المناخ الثقافى والوطنى أنهيت دراستى الثانوية وجئت للقاهرة والتحقت بكلية الطب !

● سألت الأستاذ صلاح حافظ : ولماذا الطب بالذات ؟!

يضحك قائلاً : ولا حاجة « أبى » قال إننى أنفع أن أكون طبيباً ، فألحقنى بكلية الطب ، ورغم ميولى واتجاهاتى الأدبية إلا أننى كنت أحب « العلوم » وأتفوق فى الكيمياء والطبيعة ، وكثيراً ما كنت أخترع أشياء علمية فى المنزل ، ومازلت أذكر أننى اخترعت ذات مرة جرساً كهربياً يدق إذا ما فتح لص المنزل .. فى نفس الوقت كان الطب مهنة موقرة جداً كما كان عدد الأطباء قليلاً جداً .

ولم تستطع دراسة الطب أن تنسينى اهتماماتى الأدبية وفى مقدمتها كتابة القصة القصيرة !

□ سنة أولى صحافة !! □

● قلت : ورحلتك بعد ذلك كيف سارت ؟!

● قال : ذات يوم علمت أن وزارة المعارف العمومية أعلنت عن مسابقة للقصة ، وقدمت لهذه المسابقة .

وعندما ظهرت نتيجة المسابقة فازت القصتان بالجوائز الأولى . بعد ذلك علمت من أحد موظفى وزارة المعارف واسمه « عبد الله حبيب » وكان أديبا ولكنه اسم غير لامع أن الأستاذ حلمى مراد رئيس تحرير جريدة الكتلة التى يصدرها الزعيم مكرم عبيد بعد انشقاقه عن حزب الوفد قد أخذ هاتين القصتين لنشرهما وأنه يريد مقابلتى !

ويومها نصحنى الأستاذ عبد الله حبيب قائلاً : إذا بعت القصة بجنيه ستظل طول عمرك تبيعها بجنيه واحد ، وإذا بعتها بخمسة جنيهات ستظل إلى الأبد تبيعها بخمسة . لذلك أنصحك بأن تطلب مبلغا مرتفعاً !!

فى الواقع ـ يكمل الأستاذ صلاح حافظ ـ فأنا لم أكن مهتماً بمسألة

الفلوس على الإطلاق ، ولكن ما اهتممت له هو مسألة النشر . ومع ذلك انبسطت لأنى سوف أحصل على نقود مقابل نشر قصة لى ، لأن هذا معناه ببساطة أن ما أنشره شىء له قيمة ويستحق النشر ولهذا أتقاضى عليه نقوداً . وأذكر أننى تقاضيت ثمانية جنيهات ثمنا للقصتين . ولكن رؤية اسمى مطبوعا فوق الورق كان لايقدر بثمن !! المهم أننى ظللت أنشر فى جريدة الكتلة .

فجأة قرر الأستاذ حلمى مراد رئيس التحرير أن يترك الكتلة .. فى نفس الوقت الذى انفتحت فيه شهيتى للنشر ..

فجأة ايضا واظن ان ذلك كان فى عام ١٩٤٨ صدرت صحيفة جديدة اسمها مليونير وفدى ويمتلك مصانع عديدة للثلج اسمه « أحمد حمزة » . الصحيفة اسمها « الجريدة المسائية » ورئيس تحريرها المرحوم الأستاذ كامل الشناوى . الغريب أن كامل الشناوى كان مرتبطا برجال الحزب السعدى ومثقفيه ، لذلك غضب حزب الوفد من أحمد حمزة . وقالوا أعضاء الحزب لمصطفى النحاس زعيم الوفد : كيف تسمح لأحمد حمزة بأن يصدر جريدة وفدية ويأتى برجل من الحزب السعدى يرأس تحريرها ؟! وينافس جريدة الوفد الأولى وهى « البلاغ » .

المهم أن « الجريدة المسائية » كانت لامعة جداً ، على رأسها كامل الشناوى وهو شاعر مرهف الحس ومتذوق وذواقة للصحافة ويفهمها فهما جيداً جداً . فيها ايضا الفنان التشكيلى « عبد السلام الشريف » والذى أدخل فى مصر فن الإخراج الصحفى « الميزانناج » وصار تلميذه ومساعده « حسن فؤاد » واحداً من ألمع أساتذة هذا الفن . وعلى صفحات الجريدة المسائية كان يكتب سلامة موسى ، حلمى مراد ، ومن الشباب الناشىء فى ذلك الوقت بدأ يلمع مصطفى محمود .

● قلت : واين صلاح حافظ وسط كل هؤلاء ؟!

قال : ذهبت إلى الجريدة المسائية ومعى عدد من القصص ، وطلبت مقابلة الأستاذ كامل الشناوى رئيس التحرير ، ادخلونى إلى مكتبه حيث كان يحلق ذقنه يومها . أخذ منى القصص وطلب أن يرانى بعد أسبوع !!

وفعلا سافرت البلد ـ الفيوم ـ وعدت بعد حوالى سبعة أيام . ودهشت عندما اخبرنى كل من قابلته أن الأستاذ كامل الشناوى يبحث عنى فى كل مكان . وعلمت فيما بعد أن كامل الشناوى قام بعمل دعاية عظيمة لى عند كل زواره من الوزراء والباشوات والصحفيين . وكلما زاره أحدهم أخرج له إحدى قصص ليقرأها له ثم يقول : فيه حد يقدر يكتب كده دلوقتى ؟!

فكان كامل الشناوى أحسن داعية رأيته لأية موهبة جديدة !! المهم قال كامل الشناوى : سوف ننشرلك قصة فى العدد القادم . وطلب منى أن أذهب إلى الفنان عبد السلام الشريف وحسن فؤاد لأرى توضيب وإخراج الصفحة التى ستنشر فيها قصتى .. أيضا أعطى كامل الشناوى أمرا لصراف الخزينة أن يصرف لى عشرة جنيهات عن القصة بالطبع انبسطت قوى .

□ أغرب دار صحفية ! □

● قلت : واستمرت بك المسيرة بعد ذلك ؟!

قال : أثناء دراستى بالكلية كنت قد تعرفت على مصطفى محمود .. وذات يوم زارنى فى البيت وأبلغنى أن حزب الوفد نجح فى إقناع أحمد حمزة بإغلاق الجريدة المسائية التى كان كامل الشناوى رئيسا لتحريرها . وطلب منى مصطفى محمود الذهاب إلى المليونير يس سراج الدين وكان قد أسس جريدة « النداء » على نمط أخبار اليوم بهدف منافسة أخبار اليوم . ولم تكن

جريدة ناجحة بطبيعة الحال !! وكان من المشاهد المألوفة أن يأتى يس سراج الدين إلى مقر الجريدة ومعه عشرين شخص بالعصى والنبابيت ليحرسوه !

المهم ذهبت مع مصطفى محمود . قابلنا المرحوم صلاح عبد الجيد وسألنى ، هل أنت صلاح حافظ ؟! واندهشت أنه يسأل عنى بالذات . ثم علمت أن كامل الشناوى كان قد كتب اسمى فى كشف المحررين بعد إغلاق الجريدة المسائية للاستفادة بهم فى صحف دار النداء !!

خيرنى يس سراج الدين بين العمل فى النداء أو صوت الأمة ؟ وكان كل أصدقائى ومنهم مصطفى محمود وحسن فؤاد قد اختاروا النداء لأنها الجريدة الأكثر توزيعا . أما أنا فقد اخترت صوت الأمة وكان يرأس تحريرها محمد على حماد .. ومن ذلك الوقت احترفت الصحافة وأنا مازلت طالبا فى كلية الطب !!

وكانت دار النداء أغرب دار صحفية رأيتها فى حياتى . ومنها تعلمت كل فنون العملية الصحفية . إذا كتبت مقالاً وأردت أن تجمعه بنفسك فلا أحد يعترض ! وإذا أخرجته بالشكل الفنى الذى يروقك فلا أحد يسألك لماذا .. المهم تعلمت من يومها كل مايتعلق بفن الطباعة والإخراج الصحفى من خلال علاقتى بعمال المطبعة !

وفجأة قال لى يس سراج الدين : أنت ياصلاح قصاص .. وأنا عاوز أصدر مجلة قصة ؟!

فى ذلك الوقت كنت أعتبر الشاعر الدكتور إبراهيم ناجى هو أبى الروحى وكنت معجبا بأشعاره وذهبت إليه بعد تكليفى من يس سراج الدين بالإعداد لمجلة القصة . وفعلا أصبح د . ناجى رئيس التحرير وأنا سكرتير التحرير . وصدرت المجلة وكان اسمها « القصة » وكتب فيها د . يوسف ادريس أول

قصصه كما كتب زميلنا الموهوب محمد يسرى أحمد . الذى كان أقدر منا جميعا .. ثم تفرغ للطب فقط !

المهم أنها كانت مجلة متخصصة للقصة فقط .

● وذات يوم زارنى كل من مأمون الشناوى وإبراهيم الوردانى وكانا صديقين لرجل سورى يعمل فى إدارة دار الهلال . اسم هذا الرجل « شفيق مرشاق » وفجأة حدث له شيء أشبه بما يحدث فى أفلام السينما . فقد مات له عم كان يعيش فى البرازيل . فورث أموالاً طائلة . وفى تلك اللحظة اقترح عليه مأمون والوردانى أن ينشيء مجلة وجريدة ووكالة أنباء أيضا . كان الوردانى قد بدأ ينتشر سينمائيا فاقترح على شفيق مرشاق إصدار مجلة سينمائية اسمها « الستار » وأخرى اسمها « وراء الستار » بالحجم الصغير . كان كل منهما يتقاضى مائة جنيه فى الشهر .. فى ذلك الزمان !!

وقال لى مأمون الشناوى : سيبك بقى من الكلام الفارغ بتاع النداء . وتيجى تشتغل معانا .

الوردانى ابتكر شخصية بنت مشلولة اسمها « نورا » تسكن فى المعادى وتتحرك بواسطة كرسى بعجلات وتهتم بالأدب وتجيء لها عشرات الخطابات وترد عليها .. وعندما مرض الوردانى صرت أكتب بدلاً منه « نورا » .. أما مأمون الشناوى فأصبح لا يأتى على الإطلاق .. فصرت وحدى فى المجلتين .. أشعر بالغربة والحيرة .

● **سألت الأستاذ صلاح حافظ : ما الذى تذكره الآن عن هذه المجلة ؟!**

ضحك طويلا وقال : كانت تخسر دائما .. لأن صاحبها ببساطة ليس عنده أى فكرة عن الصحافة . وكان يرى أن أهم شيء فى المجلة هى صفحات « الدوبل باج » وكان يقول لى : إذا نشر فى هاتين الصفحتين قصة فالمجلة هتكسر الدنيا ..

وذات مرة اقترح مأمون الشناوى على شفيق مرشاق : أن يضع داخل صفحات المجلة سندوتش فول مدمس حتى تنفد من السوق فى الحال !

وأذكر اننى نشرت بابا عن الجامعة ، واتخذت له شعاراً هو « اطلبوا العلم ولو فى مصر » . وكان حوالى ٦ صفحات فى نهاية المجلة .. وكنا نهاجم بشدة بعض الأوضاع فى الجامعة . وفوجئنا بكل من عميد كلية دار العلوم والزراعة رفعا علينا قضية .. وطلبت النيابة منا الحضور . وعندما علم شفيق بذلك مات من الرعب وقال للنيابة : انا ماليش دعوة .. المسئول عن كده واحد اسمه صلاح حافظ ! والوردانى قال فى التحقيق : أنا معرفش حاجة ..

استمرت القضية مدة .. ثم اتحكم علىّ بغرامة ٢٠٠ جنيه .

● **قلت : وماذا عن صحف اليسار فى تلك الفترة ؟!**

قال : الصحيفة العقائدية التى عملت بها هى « الملايين » . كان يصدرها رجل ثرى حالم يريد منافسة أخبار اليوم واسمه « أحمد صادق عزام » . كان معنا زهدى ومأمون الشناوى .. الصحفيين اللى فيها هجروها . قلنا تخليها منبرنا اليسارى .. وحتى الراجل صاحبها كان يتريق علينا قائلاً :

— مفيش جوابات وصلت لكم من موسكو ؟

وهكذا وجدت نفسى دخلت عجلة الصحافة من باب الأدب إلى المهنة نفسها ! وارتباطى بالصحافة كان ارتباطا مهنيا . ومازلت أعتقد أن الصحفى لا يستطيع أن يكون صحفيا جيدا إلا إذا عرف تفاصيل العمل المهنى .. من الكتابة إلى الطباعة .

وذات يوم قال لى مأمون الشناوى : إحسان عبد القدوس يريد مقابلتك !

وذهبت لمقابلة إحسان وعرض علىّ العمل فى تحرير روز اليوسف .. وقابلت السيدة فاطمة اليوسف التى عينتنى فى الدار !

كان لروز اليوسف سكرتارية تحرير مكونة من ثلاثة هم المرحوم عميد الإمام وكان دينامو المجلة فعلا ، ثم سامى داود المسئول عن التحقيقات الصحفية والمقالات والقصص . وكنت أنا مسئولاً عن أخبار السياسة وكذلك أخبار الفن والمجتمع والرياضة والعلم .

كانت طبيعة عملى كسكرتير تحرير فيه قدر من رئاسة التحرير أيضا . فقد كنت أقوم بتقييم ما يتجمع عندى من أخبار وأصوغها .. وفى الاجتماع الأسبوعى الذى كان يعقده إحسان عبد القدوس مع الرسام عبد السميع لاختيار الرسوم الكاريكاتيرية كنت أحضر هذا الاجتماع وأشارك أيضا فى وضع أفكار هذه الرسوم الكاريكاتورية .

وعندما جاء أحمد بهاء الدين إلى روز اليوسف كنت قد احترفت تماما ، وكنت أتقاضى من روز اليوسف مبلغ عشرين جنيها فى الشهر ! وبدأت أكتب باب « انتصار الحياة » وصرت معروفا ..

يقول صلاح حافظ على هامش الحوار :

ـــ لا تكاد توجد صحيفة فى مصر لم أعمل بها بعض الوقت ، ولا يكاد يوجد فن من فنون الكتابة لم أعالجه ، ومع ذلك يأبى معظم الذين قرأوا لى إلا أن ينسبونى إلى عمل واحد هو هذه المجموعة من المقالات التى نشرتها فى مجلة روز اليوسف بعنوان « انتصار الشباب » منذ أكثر من عشرين عاما !

فحتى هذه اللحظة لا أكاد يقدم نفسه ـ أو يقدمنى غيرى ـ إلى أحد من القراء حتى يصيح !

ـــ صلاح من ؟! « بتاع » انتصار الحياة ؟

وأرد بغاية الأدب على السائل بقولى :

ـــ ياسيدى أنا بتاع أشياء كثيرة . أنا عالجت الشعر والقصة والرواية

والنقد والسياسة والترجمة والتحقيقات الصحفية ، وجربت نفسى فى الفكاهة وقصص الأطفال وسيناريوهات السينما ، وكتبت عدداً لا بأس به من المنشورات السرية . ألم تقرأ شيئا من ذلك كله ؟

فيجيب باستنكار شديد :-

ـــ لم أقرأ ـ عيب ياأستاذ ! أنا لم يفتنى سطر وحد مما كتبت .. فى « انتصار الحياة » !

ويخطر ببالى أن أقول وأطبق على عنقه ، ولكننى أعود فأصفح عنه عندما أتذكر أنه حتى أقرب الأصدقاء من رجال الصحافة والأدب لهم منى نفس الموقف ! كلهم يعتبرون أننى لم أكتب شيئاً فى حياتى غير هذه المقالات اللعينة .

□ إلا التفكي العلمى ! □

يضيف صلاح حافظ :

عدت يوماً إلى مجلة روزاليوسف بعد أن غبت عنها حوالى عشرة أعوام فإذا بإحسان عبدالقدوس يستقبلنى بحرارة شديدة وهو يصيح من على الباب ، وقبل أن يطلب لى فنجان القوة .

● طبعا ستستأنف عملك الصحفى : هل أحضرت معـك مقال « إنتصار الحياة » ؟!

وتولى خالد محى الدين يوماً شئون مؤسسة أخبار اليوم وكنت أعمل بها ـ فكتبت له عشرين صفحة من الاقتراحات لتطوير صحف المؤسسة ، وإذا به بعد أن قرأها يتصل بى فى منتصف الليل ليقول :

● مطلوب منك ان تبدا من الاسبوع القادم كتابة « انتصار الحياة » !

ثم وضع سماعة التليفون دون أدنى إشارة إلى اقتراح واحد من الصفحات العشرين التى سهرت أكتبها ! وهكذا تجربة بعد أخرى ، أدركت أنه لم تعد لى نجاة من هذه المجموعة اللعينة من المقالات ، فهى قد حاصرتنى وانتهى الامر . وهى قد سدت طريقى واصبحت تستأثر بالشهرة دونى ، وسأظل بإرادتى أو برغم إرادتى أنفى النسب إليها حتى ولو هجرت الكتابة أصلاً واشتغلت بالبقالة او بالتصدير والاستيراد !!

ومع ذلك فأنا اعترف بانى ما ازال أجهل السر الخفى وراء ذيوع صيت هذه المقالات وإصرار الجميع على نسبتى إليها ! والتفسير الوحيد الذى أستطعت أن أهتدى إليه حتى الآن هو الظروف التى كانت قائمة وقت نشرها ، فقد بدأت أكتب هذه المقالات القصيرة فى مجلة روزاليوسف فى عام ١٩٥١ أى قبل الثورة بعام واحد ، وفى ذلك الوقت كان كل شىء مسموحاً به فى مصر .. إلا التفكير العلمى ..

كان الانجليز يحتلون مصر ، وكانت الحرب العالمية الثانية قد أيقظت الوعى حتى فى أقاصى الريف وكان هذا الوعى هو الخطر الأكبر الذي يهدد سلطان الانجليز ، فنشط عملاؤهم فى كل مكان يحاولون أن يدفنوا عقول الناس تحت أكثف قدر ممكن من تراب الجهل والغيبيات ، فإذا بحركة « الإخوان المسلمين » تدعو الناس إلى محاربة الاحتلال بالصبر والصلاة ! وإذا بالملك الخائن فاروق يطيل شعر ذقنه ويحمل مسبحة ، وإذا بأخبار اليوم ـ صحيفة الملك عندئذ ـ تبشر بشفاء كل الأمراض على يد نصاب أفاك سلب من الناس نصف مليون جنيه ليشفى أمراضهم ثم هرب !

وإذا بمفكر شهير مثل العقاد الذى كان من طلائع ثورة ١٩١٩ يتحول إلى

حرب على الثورة .. « ويثير ضد الوطنين قضايا من عينه ، هل أنتم شيوعيون أم مؤمنون » ؟! بل إن أستاذاً جليلا مثل طه حسين تورط فى ذلك الوقت فى سلسلة احاديث فى الإذاعة يرد بها على المطالبين بحق الشعب فى الخبز والدواء .. ويعتبر كلامهم رخيصاً لانهم مهتمون بالجانب المادى فى حياة الإنسان دون الجانب الروحى الشفاف !

وبينما كان الطلبة يتساقطون قتلى برصاص الانجليز « المادى » والحكومات تتغير فى مصر باوامر المدافع الانجليزية « المادية » .. كان الهجوم على اشده ضد اى « تفكير مادى » من جانب المناضلين الوطنيين وكان الدفاع على اشده من أجل « معنويات ومثل عليا » يجب أن يتحلى بها الشعب ولا يفكر فى غيرها !

وطبيعى أن الشعب طوال هذا الوقت كان يكفر بهذا الذى يسمعه فهو لم يكن يفهم كيف يواجه رصاص الانجليز بالمثل العليا ، كما انه وجد تناقضاً فادحاً بين المثل الخلقية التى تدعو إليها احزاب الملك وصحافته ، وبين الانحلال القذر الذى يمارسونه على اختلاف اصنافهم ، بما فيهم الملك نفسه ، الذى كان يسير كل ليلة بين احضان الراقصات ، ويقضى أجازته مع الغانيات فى أوروبا ، ويلبس ربطة عنق عليها صورة نساء عاريات ، ويحتفظ فى السراى بآلاف الصور المبتذلة .

وشيئا فشيئا كان يتم الانفصال ما بين الشعب المناضل ضد الاستعمار والملك الذى يحالف الاستعمار ، ووقف الشعب موقف العداء لا من الملك وحده ولكن أيضاً من انصاره سواء كانوا سياسيين أو مفكرين ، ولما كانت وسيلة الملك والاستعمار فى المعركة هى تجهيل الناس فقد اصبحت وسيلة أعدائها هى تنويرهم ، واصبحت المعركة فى الواقع صراعاً ما بين العلم

والجهل ، فالملك وانصاره يعتبرون كل كلام علمى موجهاً ضدهم ! والثوار يهاجمون الملك وانصاره بالكلام عن العلم فى أية صورة من الصور .

وانحاز عدد كبير من كبار المفكرين ـ مع الأسف إلى صف التفكير غير العلمى ـ فأصبح كلامهم فى الصحف والإذاعة تخريفات مخجلة ضد كل ما هو حقيقة علمية ، فإذا بهم ـ وجنود الانجليز يهتكون أعراض نسائنا ـ يتحدثون عن خطر الشيوعية ، وإذا بهم يتكلمون عن الاشتراكية كما يتكلمون عن الكوليرا باعتبارها وباء يجب تطعيم الناس ضده ! حتى الزعيم الوطنى العظيم مصطفى النحاس لم يجد غضاضة فى أن يذيع على الناس خطباً يشيد فيها بالملك فاروق .. ويعلن أن جزيرة « كابرى » التى ذهب يمارس الدعارة فيها هى قبلة كافة المسلمين والعرب !!

فى تلك الايام كان طبيعياً أن يشعر الرأى العام بالظمأ إلى كل كلمة حق ! ولما كانت كلمة الحق فى اى زمان أومكان هى كلمة العلم ، فقد كان طبيعياً أن يلفت النظر إلى كل سطر من العلم ينشر فى أى صحيفة من الصحف ، وقد كان هذا ـ على الاغلب ـ هو السبب فى أن عقول القراء تنبهت إلى مقالات « انتصار الحياة » !

فقد ظهرت هذا المقالات فى البداية كباب صحفى ينشر آخر أخبار العلم وبهذه الصفة راجت بين القراء أول الأمر .

ثم فجاة بدات تنفجر الحركة الوطنية ، وتحول النضال السلمى ضد الاحتلال البريطانى إلى نضال مسلح . ولم يعد فى مصر بيت ولا شارع إلا وهو مشغول بمعارك الفدائيين ضد معسكرات الاحتلال فى منطقة قناة السويس ، وطبعا فرضت مرارة هذا الوضع الجديد نفسها على مقالات « انتصار الحياة » فإذا بها تتحول من سطور علمية إلى سطور سياسية ،

وإذا بالباب الذى كان يستعرض حقائق العلم المجردة يتخذ من هذه الحقائق ذريعة ليتكلم فى السياسة ويحمل السلاح مع المقاتلين !

ويبدأ كل ما ينشر فى الباب يتجه نحو فضح المواقف السياسية الرجعية . على ضوء أدلة مستمدة من علوم الطبيعة والكيمياء والطب والرياضيات ، وأصبحت العقيدة التى يدافع عنها الباب هى أن حقائق العلوم المادية هى نفسها حقائق علم الاجتماع والسياسة ، فالمجتمع جسم مادى يخضع لكل ما تخضع له الأجسام المادية ، والقوانين التى تحكم الجماد والنبات والحيوان والإنسان هى نفسها التى تحكم المجتمع .

وشيئا فشيئا أصبح كل مقال فى هذا الباب يتناول حقيقة علمية مطبقة على الواقع الاجتماعى ، ويحاول أن يخوض الجدل السياسى بمنطق الطبيب مرة ، وبمنطق عالم الأرصاد أو الذرة أو وظائف الأعضاء مرة أخرى !

ولأمر ما أعجب القارئين بهذا النسيج « العلمى الاجتماعى » وتحمسوا له ، ربما لغرابته ، وربما لأن التفكير العلمى كان أصلا من المحرمات فى ذلك الوقت !

المهم أنهم أحسنوا استقباله ، فشجعنى ذلك على مواصلة النسيج على نفس المنوال ، ثم جاءت الرقابة على الصحف فزادتنى تمسكاً بهذا الأسلوب ، لأن ثقوب النسيج العلمى الاجتماعى هذا كانت تسمح أكثر من غيرها بتفويت ما استياء من آراء متمردة !!

□ أيام فى الأخبار !! □

● **قلت : وماذا بعد تلك الأيام فى روزاليوسف ؟! وبعد أن صار اسم « صلاح حافظ » يتردد على كل لسان ؟!**

قال : فجأة صدر الحكم على بأن أدفع غرامة ٢٠٠ جنيه فى قضية مجلة

« الستار »، وقام كامل الشناوى بكتابة مقال يدعو فيه القراء إلى التبرع لدفع هذه الغرامة ، وغضبت جداً وثرت على مقالته وكتبت أرد عليه قائلا : أنا صحيح لا أملك هذا المبلغ .. ولكنى سأذهب إلى قسم البوليس وأعمل فيه مقابل تسديد هذا المبلغ !!

● **قلت لصلاح حافظ مندهشا : ولماذا ؟!**

قال : لأنى فى هذا الوقت كنت قد اتصلت بالحركات اليسارية فى مصر ، وتشكلت لدى نظرة طبقية للأمور ، وفهما للصراع الاجتماعى فى مصر وليس فقط الصراع الوطنى : ولأنى شاب وقتها فقد أردت أخذ موقف بطولى ، وقلت سأذهب لقسم البوليس اكنس وأمسح كل يوم وأفضح الحكومة التى تسجن الوطنيين لأنهم يقولون رأيهم بصراحة ..

وفجأة أخبرنى كامل الشناوى أن مصطفى وعلى أمين سوف يصدران جريدة يومية هى الأخبار ويريدونك للعمل معهم !! الحقيقة أننى انبسطت من الفكرة ، وأخبرت السيدة روزاليوسف بذلك فلم تمانع ، وكان مرتبى من الأخبار هو ستون جنيها فى الشهر ، وفى نفس الوقت ظللت أعمل فى روزاليوسف .

● **قلت : ألم تجد تعارضا بين اتصالك بالحركات اليسارية فى مصر وبين عملك مع مصطفى وعلى أمين المعروف عنهما العداء الشديد للحركات اليسارية ؟!**

قال : أنا انبسطت من فكرة العمل مع مصطفى وعلى أمين ، لأن مدرسة أخبار اليوم عملت نقلة خطيرة فى منطق الصحافة ، وقبل ذلك كان محمد التابعى قد حقق النقلة الأولى ، فالتابعى غير تماماً لغة الصحافة ، نقلها من اللغة الفصحى إلى الفصحى السهلة التى تتضمن حواديت وأسرار

بأسلوب رشيق جذاب ، وسار كل الصحفيين وراء التابعى وأسلوبه الجديد .

أما أخبار اليوم فقد غيرت دور الصحيفة وبشكل نهائى ، كانت الصحيفة اساساً هى المقال فنقلها على ومصطفى امين إلى الخبر .. والخدمات الصحفية ، وصارت الصحافة هى صحافة الخبر !

كما ان اسلوب مصطفى امين وهوكاتب جذاب جداً اعجبنى جداً ، كنت « اموت » فى مقالاته التى كان ينشرها فى آخر ساعة والاثنين وأحياناً كان يوقعها بإمضاء « مصمص » .

ورغم اننى كنت فكرياً وسياسياً ضد مدرسة اخبار اليوم التى كانت متميزة للملك والقصر واحزاب الاقلية المعادية للوفد ، إلا أننى كنت شديد الإعجاب بالاسلوب الصحفى الجديد بتاع مصطفى امين ، وهذا الإعجاب اثر فى اسلوبى حتى أننى كنت أستخدمه داخل روزاليوسف ..
فى جريدة الاخبار كنت أترجم كل يوم قصة تنشر فى الصفحة الاخيرة ، وكذلك اعيد صياغة الاخبار والحوادث المحلية والخارجية ، وفى حوالى ربع صفحة اكتب تعليقا على هذه الاخبار .

● سالت صلاح حافظ : إلى متى ظللت فى الاخبار ؟!

قال : حتى منتصف عام ١٩٥٢ تقريباً أو بعدها بقليل .

● قلت : ولماذا تركتها ؟!

قال : ذات يوم فوجئت بالاستاذ مصطفى امين يخرج اسمى من كشف مرتبات العاملين فى الاخبار على أن يعاملنى بالقطعة ، لكى يقول بعد ذلك انه فصلنى من الاخبار ! واذكر انه قال لى : انت بالشكل ده يا صلاح هتأخذ ضعف ما تحصل عليه من نقود .. وفى هذا الوقت كان معظم قادة تنظيم

« حدتو » قد تم إلقاء القبض عليهم وطلب منى التفرغ للعمل التنظيمى والاختفاء التام فأنا اتلككت وقلت لمصطفى أمين :) أنا أعتبر هذا فصلا ، وسوف أرفع قضية وأطلب تعويضا ! وفوجئت بمصطفى أمين يقول لى : موافق واعدك اننا لن ندافع عن أنفسنا !

وظللت فى قيادة التنظيم إلى أن قبض علينا وظللت فى السجن ثمانى سنوات .

● **سألت : سجن أم اعتقال يا أستاذ صلاح ؟!**

ضحك وقال : لا .. سجن .. لأننا اتحكم علينا فى قضية واتمسكنا بكل شىء بما فيه محاضر اجتماع التنظيم نفسه : هل تتخيل أن حركة سرية تعقد اجتماعات وتحتفظ بمحاضر اجتماعات مسجل فيها كل شىء (!!!)

وأثناء فترة السجن كنت قد كسبت القضية التى رفعتها على مصطفى أمين وقبضت زوجتى التعويض المالى !

□ ســر الظاهرة : « روزاليوسف !! » □

● **قلت : اين يكمن سر روز اليوسف ؟!**

قال : إن سر روزاليوسف الحقيقى انها كانت منذ البداية مجلة اسستها سيدة فنانة ، وكانت مجلة فقيرة جداً ، وبحكم انها فقيرة كانت تقف مع الشارع اكثر من اى شىء آخر !

وبحكم أن صاحبتها السيدة روزاليوسف كانت فنانة فلم يكن الذات اللى عند الآخرين ! بمعنى أن الشيء الكويس هو الذي ينشر ، والردىء لا ينشر ، هذا هو المعيار !

وكانت كمجلة فقيرة تعتمد على الجيل الجديد الذى يريد أن يؤكد ويثبت

وجوده ، وكانت روزاليوسف دائما هى المكان مفتوح الابواب لكل جديد ، لان الجيل الجديد هو صاحب الفكر الجديد والتطوير الجديد .

وعندما يتساءل الكثيرون لماذا تخرج من روزاليوسف كل الاسماء الصحيفة الكبيرة واللامعة .. والجواب ببساطة انهم كجيل جديد لم يكن فى استطاعتهم الذهاب إلى صحف اخرى راسخة كالاهرام مثلا ، فكانت روزاليوسف هى حضن الشباب دائماً وبيته !

وبفضل السيدة روزاليوسف كانت توجد قاعدة من اغرب القواعد ، ولم توجد فى اية جريدة أو مجلة سوى « روز اليوسف » ، هذه القاعدة ترى أن رأيك الفكرى والسياسى خاص بك تكتبه وتقوله كما تريد بالشكل الذى تريد ، وكانت هذه القاعدة تجسيداً حقيقياً لفكرة حرية الراى وحرية التعبير .

وهذه القاعدة اتبعتها روزاليوسف عندما صارت ضد حزب الوفد وهو فى عز قوته ، ولم تكن هناك جريدة فى مصر يكتب فيها الإخوان المسلمون والشيوعيون سوى روزاليوسف ، لانها كانت تلعب دور المنبر الجديد .. ومنبر الفكر الجديد ، منبر الجبهة الوطنية ، وإحسان عبد القدوس تربى مع هذا التفكير وعليه ايضاً . وإحسان كشخصية كان مثل والدته تماماً بمعنى انه نشأ متسامحاً فكرياً مع جميع التيارات والافكار .

فأنت - مثلا - قد تكون خصماً له فى الراى ، لكنك تكتب كلاماً معقولا وهو يرى أن هناك من يود قراءة ما تكتبه فلا يتردد على الإطلاق فى نشره ، وكانت صيغة روزاليوسف هى الصيغة التى فشلت أى حكومة فى مصر أن تحققها حتى الآن ، وأنا مازلت أذكر أن روزاليوسف كانت قد بلغت قمة نجاحها قبل الثورة مباشرة . مع تفجيرها لقضية الأسلحة الفاسدة التى كان يتصدى بالكتابة فيها إحسان عبد القدوس بلسان الضباط الاحرار ، الذين هم ممنوعون من وجهة نظر الحكومة ، وكنت انا اكتب بمنطق ماركسى وهو أيضاً ممنوع ويكتب فيها خالد محمد خالد وهو تيار دينى تقدمى ومستنير ، وتكتب فيها زينب الغزالى من الإخوان المسلمين ، ويكتب فيها الوفديين

الذين هم ضد فؤاد سراج الدين وكونوا ما أسموه وقتها « بالطليعة الوفدية » ، وفى نفس الوقت تنشر أخبار الفن والفنانات ويكتبها سامى الليثى ، وهناك أيضاً يوسف حلمى من انصار السلام .

باختصار كانت روزاليوسف بمثابة الجبهة الوطنية ، وهى جريدة هذه الجبهة .

كان سر روزاليوسف ببساطة شيئين .

الأول : إيمانها بحرية الرأى وحرية الكاتب فى أن يكتب ما يؤمن أنه الحق والحقيقة .

الثانى : المنهج الشبابى ، ومعنى ذلك أنه إذا بلغ أحد محررى روزاليوسف مرحلة النجومية وصار مطلوباً فى جريدة أو مجلة أخرى وقرر أن يذهب ببساطة شديدة فليذهب لأن أبواب روزاليوسف مفتوحة على مصراعيها للأجيال الجديدة ، وهذا هو السر الذى جعل من روزاليوسف مدرسة لتخريج أجيال صحفية باستمرار .

وفى بعض الأحيان يخيل إلى أن القضية كانت عند السيدة روزاليوسف وإحسان عبدالقدوس هى استمرار المجلة وليس تحقيق أى مكسب مادى ! ولو كان ذلك هو الهدف لتمسكت مثلا بالكاتب اللامع ، والصحفى الناجح ، والرسام العبقرى ، ولكن كان الهدف فقط هو استمرار صدور المجلة . لذلك ففى كثير من الأزمات المالية العاصفة التى مرت بالمجلة وهى كثيرة ، كان المحررون والكتاب يتنازلون عن نصف مرتباتهم لكى تستمر المجلة فى الصدور !

● **يضيف صلاح حافظ :**

وعندما دخلت روزاليوسف ، دخلتها وأنا شاب لم يبلغ العشرين من العمر . يكتب بشكل حلو ويملك « أسلوباً » فظللت فيها ، إنما كونى ماركسياً ، فهذه مسألة لم أسمع بشأنها نقداً أو كلاماً من السيدة روزاليوسف أو إحسان عبدالقدوس ، بالعكس تماما كان إحسان

عبد القدوس مبتهجاً جداً وسعيداً ، فما أكتبه أو أمثله من فكر هو وجهة نظر ويريد إحسان أن يفهمها ! ومن المؤكد أن هذه الأفكار موجودة فى أرض الواقع .

وكان نفس الشىء لباقى التيارات التى تكتب فى المجلة .

وعندما كان إحسان عبد القدوس يسافر إلى الخارج كانت الافتتاحية يكتبها خالد محمد خالد مثلا فيصر على أن اقراها .. وهكذا .

كانت روزاليوسف هى الجبهة الوطنية التى تحلم بمصر حرة مستقلة يحكمها أبناؤها .

□ أنا وصحافة يوليو ! □

● **قلت للأستاذ صلاح حافظ : ما شهادتك على صحافة يوليو ؟!**

قال : أعتقد أنه لا يوجد صحافة لثورة يوليو ، وما نسميه صحافة لثورة يوليو هو صحف كانت قائمة فى الماضى ، ودخلت فى صراع مع الثورة من أجل حريتها ، برغم إيمانها بالثورة . صحافة ثورة يوليو هى حصيلة الصراع ما بين إصرار الصحافة المصرية على حريتها ، وإصرار الثورة على ترويضها وحكمها ، ولذلك هى صحافة متأرجحة ، أحيانا تكسب الصحافة خطوتين ، وأحيانا الثورة تكسب أربع أو خمس خطوات ..

إذن مفيش حاجة اسمها صحافة ثورة يوليو .. إنما فيه حاجة اسمها الصحافة المصرية ، فى عهد الخديو كان يوجد صحافة مصرية .. فى عهد الملك كان يوجد صحافة مصرية .. فى عهد الثورة كان يوجد صحافة مصرية .. وما ظهر على صفحاتها هو حصيلة هذا الشد والجذب ما بين الصحافة وما بين السلطة .

وصحافة يوليو هى التقويم اليومى والشهرى والسنوى لنتائج المعارك والكر والفر ما بين الصحافة وبين جهاز الثورة - ولا اقول الثورة - لأن

الصحافة المصرية كانت فى كثير من المواقف شديدة الايمان بالثورة وشديدة الحماس لها ايضا ، ولكن شديدة العراك مع جهاز الثورة طول الوقت ! وأنا اعتقد ايضاً أن الصحافة المصرية كانت دوما صحافة مقاتلة ، وأنا ضد الذين يهاجمونها أو يشتمونها أو يصفونها بالضعف . هذا غير صحيح ، لانه إذا أحصيت عدد من سجن من الصحفيين منسوبا إلى عدد الصحفيين ، لوجدنا أن الصحفيين هم أكثر فئات مصر تضحية فى جميع قضايا الحرية ، وأكثر من المحامين أو اية فئة !

والصحافة المصرية أدت واجبها على الوجه الاكمل ، وثورة يوليو حاولت إفسادها بمختلف الطرق ، واستخدمت جميع الوسائل ، وخلقت الحزازات بين الصحفيين ، وما من صحفى إلا وله ثار عند صحفى آخر ، ولعبت دورا فظيعاً وهى تخضع الصحافة ، ومع ذلك استطاعت الصحافة فى مصر أن تؤدى واجبها .

مفيش حاجة اسمها صحافة يوليو .. فيه صحافة مصر ! أما صحافة يوليو - كيوليو - فلا يذكر لها شىء يا أستاذ سوى أنها عملت مجلة اسمها « التحرير » ثم امرت بإغلاقها ، وأنشات مجلة اسمها « بناء الوطن » .. فاغلقها القراء !

● ● ●

● **ولكى اكون امينا معه ومنصفا له لم انس قبل الختام ان اساله : هل لديك اقوال اخرى ؟!**

قال : نعم يجب أن تقول لقرائك أن هذا الحوار كله لم يكن سياسيا ، وإنما هو حوار مهنى بحت ، اى اننى تناولت السياسة بمنظار المهنة الصحفية ولم أتناول الصحافة بمنظار سياسى . كان تصورى طول الوقت اننى صحفى عجوز يتحدث إلى صحفى شاب على سلم المطبعة أو حول رخامة التوضيب وضجيج العجلات وهى تلتهم الورق وتلتهم ايضاً نصف ما يتبادلان من كلمات ومعان .

وقد كنت دائما ضد بدعة الأحاديث التى يدلى بها صحفيون إلى صحفيين مثلهم . ولكنك نجحت فى استدراجى إلى ما كنت أعيبه على غيرى . هذا دليل جديد يضاف إلى آلاف الأدلة على أن جيلكم أكثر ذكاء منا .

ثم ابتسم وأضاف :

- وأنا أعدك بكل إخلاص ألا تستدرجنى مرة أخرى !

ملحق وثائقى

□ روز اليوسف وأنا
□ الصحافة المفترى عليها
□ من موسى صبرى إلى صلاح حافظ :
تذكر ولا تتنكر !

روزا اليوسف وأنا ..!!

٣ ديسمبر ١٩٨٥

شاءت الصدفة أن ألتحق « بروز اليوسف » وقد تـولاها رئيس تحرير جديد ، شاب ، يريد أن يثبت جدارته !

وشاءت الصدفة أن يكون هذا الرئيس الجديد ـ إحسان عبد القدوس ـ أديباً يتقمص دور الصحفى . ويعيد صياغة كل سطر فى المجلة لا يروق له أسلوبه . فكان أول ما طلب منه ـ لكى يختبر أسلوبى ـ أن أعيد صياغة تحقيق قصير عن احتفال أقيم فى الاسكندرية لانتخاب ملكة جمال مصر . .

وشاءت الصدفة أن تكون التى فازت فى هذا الاحتفال فتاة يونانية . . وكأن مقاييس الجمال المصرى لم تجد مايعبر عنها غير وجه مستورد !

فلم أتردد فى أن أجعل من هذه المفارقة محور الموضوع كله . وأن أحول القصة من خبر إلى نكتة . ولم يكن ذلك عن قصد منى . وإنما شاءت الصدفة أن أكون طول عمرى مولعا بالمفارقات . وأن يتأثر أسلوبى فى الكتابة دائماً بطبيعة الموضوع .

وقرأ إحسان ما كتبت ، وقال : كويس .

لكن الفرحة التى أشرقت على وجهه كانت أكبر بكثير من كلمة « كويس » . وفسرتها فى ذلك الوقت ـ بأنه انبهر بى ثم أدركت فيما بعد ، ودون أن يصارحنى ، أنه وجد فى شخصى الضعيف بديلاً يعفيه من عبء الصياغة ، ويعيد كتابة ملزمة كاملة من المجلة بأسلوب مقبول . . ويحرره هو لممارسة الأدب القصصى والأدب السياسى وحملة « الأسلحة الفاسدة » التى مهدت لإسقاط النظام الملكى !

ولأن إحسان كان فى حاجة ماسة إلى من يؤدى هذه الخدمة الجليلة له ، وللأدب ، وللثورة ، فإنه اتخذ بشأنى قراراً بالغ الجرأة : هو أن يكون مرتبى خمسة عشر جنيهاً فى الشهر !

ولم يكن قد سبق فى تاريخ « روز اليوسف » أن بدأ محرر فيها بمثل هذا المرتب الهائل . وقال له إحسان بصراحة أنه لا يضمن أن توافق والدته السيدة فاطمة اليوسف على هذا الرقم .

لكنها وافقت ! ولم تنس أن تخطرنى ، وهى توافق ، بأن أستاذ الصحافة المصرية الحديثة ـ محمد التابعى ـ كان يرأس تحرير المجلة بخمسة جنيهات فقط !

وبعد أن صرت ـ ككل الذين عملوا فى روز اليوسف ـ واحداً من أبناء هذه السيدة النادرة ، وصرت مثلهم جميعاً فى مكانة إحسان فسرت لى موافقتها على تعيينى بهذا المرتب الضخم قائلة : أصل انت حاتبقى كاتب كويس . . بس عيبك انك طماع !

على أن رأى هذه السيدة الجليلة كان يتغير بين وقت وآخر فيما يتعلق بطمعى أو زهدى . إنما الذى لم يتغير أبداً ، فكان رأى إحسان عبد القدوس فيما يجب أن أقوم به فى المجلة .

رسخ فى زهنه ، منذ قرأ صياغتى للتحقيق الخاص بملكة جمال مصر ، إننى خلقت لكى أكتب أخبار المجتمع والحفلات والسهرات !

كتبت قصصا ونشرها . كتبت مقالات وأبرزها . كتبت بابا علميا بعنوان « انتصار الحياة » واحتفى به ، توليت صياغة كافة أخبار السياسة ، وأخبار الفن والعلم والرياضة . لكن الأهم عنده كان الالتزام بأن أكتب كل أسبوع أخبار المجتمع الراقى فى مصر . . تحت عنوان : « أين يذهب الناس » .

وأنا رجل فلاح ، لم ير القاهرة إلا بمناسبة التحاقه بالجامعة والمناسبات الاجتماعية التى أعرفها هى حفلات الزفاف وحفلات العزاء ولم يكن قد سبق لى - فى ذلك الوقت - أن شاهدت سباق خيل ، أو سهرة راقصة ، أو مهرجانا فى نادى الجزيرة ، أو نساء يرتدين مجوهرات حقيقية .

وقلت لإحسان : انا لا اعرف هذا الجو .

فقال ببساطة : لهذا ستجيد الكتابة عنه !

قلت : ليس عندى حتى مايلزم من ثياب لحضور هذه المناسبات .

قال : أنا لا أطلب منك حضورها ، بل أحذرك من حضورها .

قلت : كيف ساكتب عنها إذن ؟

قال : بعد قليل سأعرفك بالمصادر التى ستزودك بالأخبار .
وقد كان !

دعانى إحسان إلى مكتبه ليقدم لى صديقين : فلان ، وعلان . هما من أبناء الذوات . وكلاهما ضابط بالقوات المسلحة . وكلاهما يعيش سهرات المجتمع جميعاً . ويعرف بالتفصيل ماجرى حتى فى السهرات التى يشهدها . ويعرف ماسيجري فى السهرات القادمة . وكان أحدهما أشبه « بالكومبيوتر » . . لا ينسى شيئاً رآه .

وسيظل هذا « الكمبيوتر » العجيب ماثلاً فى ذاكرتى طول حياتى . فقد أحببته منذ رأيته . وكان يذهلنى كلما زارنى ومعه حصيلة أخباره .

كان يضع أمامى على المكتب أوراقاً تملأ مجلدات . وكلها أخبار صحيحة . وكلها مفصلة . فلانة ذهبت إلى سباق الخيل . وكان معها فلان وعلان . وكانت تلبس ثوبا أبيض ، وعقداً أزرق ، وحلقا على هيئة الهلال ، وكان حذاؤها فضيا ، وكعبه على ارتفاع بوصتين . وكان شعرها مضموما إلى الوراء ، وكان زوجها يلبس بدلة زرقاء ، وفى جيبه منديل أصفر . وعندما فشل الحصان الذى راهنت عليه غضبت ، بينما ابتهج فلان بك . . الذى سبق أن فسخت خطوبتها له ، والذى كان يلبس حذاء أبيض ، وبنطلونا أصفر ، ومعه خطيبته الجديدة - بنت فلان الفلانى - فى ثوب أزرق ذى خيوط ذهبية ، وعقد من اللؤلؤ أهداه لها والدها فى عيد ميلادها ، وفيه ٣٦ حبة . . منها خمس حبات سوداء . والباقى من اللؤلؤ الأبيض المائل إلى الزرقة .

والذى صنع هذا العقد هـو الجواهـرجى الايطالى السنيـور « فلانو » ، الذى تزوج فى العام الماضى من كريمة فلان باشا . . الخ .

كان هذا المصدر الصديق أعجوبة . وكـان يمكن فى أية صحيفة عالمية أن يكون مرتبه مليون جنيه فى الشهر . لكنه كان يزودنى بكل هذه الثروة الإخبارية مجانا ! ولسببين :

الأول : أنه صديق لإحسان .

الثانى : أنه يحب فى ذلـك المجتمع أشخـاصاً يـريد أن يجاملهم . وقد تفاهمت معه على تلبية هذه الرغبة مجانا فى مقابل خدماته .

وكان هذا المصدر نقى القلب إلى حد لا يصدق . ولم يكن يكترث بما يجرى فى مصر خارج إطار الحياة الاجتماعية التى هو متفرغ لها . وكان يكتب لى أخباره بلغة لا شأن لها بالعربية وقواعدها ونحوها وهجائها . ولكنى تدربت على فهم ما يقصد من معان . وتفاهمت معه على رمز يكتبه حين يريد منى أن أجامل أحداً من الذين يتحدث عنهم فى أخباره . وكان الرمز كلمة « دوس » . يقول مثلاً : ثم ظهرت فى الحفل فلانة « دوس » . وكانت تلبس كذا وكذا ، فأفهم أنه يريد وضعها فى الخبر بصورة جذابة . وألبى هذه الرغبة دون تردد ، مكافأة عـلى الثروة الاخبارية التى يزودنى بها دون مقابل !

ولأننى كنت فلاحاً ، فإن صياغتى لهذه الأخبار الواردة من عالم لا أعرفه ، ولا أفهمه ، كانت بالطبع صياغة رجل مندهش بما يسمع .

وكانت هذه الأخبار - بالنسبة لى - كنزا من الأعاجيب يسمح لى بممارسة رياضتى الأسلوبية المفضلة : رياضة العزف على المفارقات .

وأصبحت نوادى السادة فى مصر تتلقفه وتتوقعه ، وتتوجس مما ينشر فيه ، أسبوعاً بعد أسبوع .

وأصبح فقراء القراء يتابعونه ، ويقرأونه لبعضهم البعض ، بشهية الذى يطل من ثقب الباب على عالم غير مسموح له بأن يدخله من الباب .

وكانت مصر وقتها حبلى بالثورة ، وكانت المسافة بين حياة الأثرياء وحياة الفقراء قد بلغت أقصى اتساعها ، ولم يعد ممكنا أن تعبرها غير ثورة شاملة .

وعندما نشبت الثورة فعلاً فى ٢٣ يوليو قيل أن مما ساهم فى نشوبها ومهد الأرض لاندلاعها ، حملة إحسان عبد القدوس على الأسلحة الفاسدة التى هزمت الجيش المصرى فى حرب فلسطين . . وباب « المجتمع » الذى كانت تنشره فى نفس الوقت مجلة « روز اليوسف » !

وفيما بعد قال إحسان عبد القدوس أنه تعمد أن يعهد بباب « المجتمع » هذا إلى كاتب يسارى . . لكى يحيله إلى باب يحرض على الثورة .

وقد يكون هذا بالفعل هو ماقصد إليه إحسان عندما كلفنى بصياغة هذا الباب .

أما أنا . . فأقسم بالله العظيم أنى لم أكن أقصد شيئاً ولا خطر ببالى أن أستثمر هذا الباب لهدف محدد !

كنت ثائراً ، نعم ولكن بالمنشورات ، وبالمطابع السرية ، وبالخلايا والاجتماعات والمظاهرات .

أما « باب المجتمع » فلم يخطر ببالى أن أستثمره لصالح الثورة . إنما كتبته كعمل مهنى بحت . وكانت مفارقاته بالنسبة لى فرصة للأداء الصحفى الجيد . وكان هدفى وأنا أكتبه هو إتقان الأداء ، لا أكثر ولا أقل !

لكن الكاتب دائماً أسير معتقداته .

ولأنى عدو للطبقية ، وخصم لكافة صور التميز بين بنى الإنسان ، فقد جاءت صياغتى لباب « المجتمع » فى روز اليوسف ـ دون أن أقصد على الاطلاق ـ صياغة تشهر بالطبقية وتسخر من صورها الفادحة ، والفاضحة .

وقد أدهشنى كثيراً أن ينسب لهذا الباب ، ولشخصى الضعيف ، دور مقصود . لكن السمعة الطيبة التى فاز بها الباب ، والتى نسبت لى مجداً لا أستحقه ، نبهتنى إلى حقيقة كنت غافلاً عنها ، ولقنتنى درساً أتمنى لو استوعبه حملة الأقلام فى مصر درساً يقول لكل من يمسك بالقلم . . قل ببساطة ما تشعر به ، تشارك ـ دون قصد ـ فى دفع عجلة التاريخ !

لا يهم موقعك من هذه العجلة ، لا يهم مستوى القضية التى أنت مشغول بها . لا يهم أن تكون زعيماً ، أو رئيس تحرير ، أو أديباً ، أو مجرد ريشة تصحح أخطاء الآخرين . يكفى أن تؤدى

مهمتك بإخلاص ، وحماس ، وأن تعبر فيها عما فى ضميرك دون زيف . . لكى يكون لك دور فى صياغة المستقبل .

وأوضح دليل على ذلك هو قصتى مع « روز اليوسف » وباب « أين يذهب الناس » ؟

بالصدفة اختبرتنى فى الصياغة فنجحت لأننى بإخلاص من عشاق الأساليب . وضمتنى إليها . وصرت جزءاً من تاريخها .

وبالصدفة ، عهدت لى بباب « المجتمع » فنجح الباب لأننى عبرت بإخلاص عن نظرتى إلى أخباره ، ورويتها كما يروى الفلاح أخبار بنى البندر . وشارك الباب فى دفع عجلة الثورة التى قامت لتحقيق المساواة بين كافة المواطنين .

والإخلاص كان المفتاح وقد شاءت الصدفة أن يكون ما أخلصت له هو ما صدرت روز اليوسف من أجله : الحق ، والعلم ، والتقدم . . والذوق الفنى .

وشاءت الصدفة أيضاً أن أولد يوم صدر عددها الأول . وأن تكون عيد ميلادها هو عيد ميلادى . وسنها هو سنى !

وهى اليوم قد بلغت الستين من العمر .

لكنها ـ وهى فى نفس سنى ـ أكبر منى بكثير لأن عمرها هو مجموع أعمار الذين التحقوا بها ، وتعلموا فى مدرستها ، والذين لقنتهم ذلك الدرس العظيم :

ـ لا تشغل نفسك بالتاريخ ، قل ما تؤمن به ، وعبر عما فى داخلك . . تشارك دون أن تدرى فى صنع التاريخ !

الصحافة المفترى عليها

اصبحت الصحافة فيما يبدو (بـردعة العاجزين) عن الركوب . الدنيا حر ؟ اشتم الصحافة . الغلاء تفاقم ؟ المواصلات ازدحمت ؟ الفيلم فشل ؟ الدولار قفز ؟ الأغنية لم تعجب المستمعين ، المسئول هو الصحافة وقد آن في اعتقادي ان تواجه الصحافة هذه الظاهرة ، وان ترفض اداء دور الشماعة لأخطاء الآخرين ، أو البردعة لكل من شاء ان يهز رجليه !

◻ اسمع يابابا ◻

كتب لى ابنى ، الذى هو من صلبى ، رسالة يقول فيها :

« قصدت أن أكتب إليك فى بريد قرائك ، حتى تعاملنى معاملة القراء . . وتناقش بدلاً من أن تنهرنى !

لقد قرأت لك رأياً تقول فيه « إن بين الكاتب والقارىء ميثاقا على البعد ، ألا يقول له إلا الحق أو ما يعتقد أنه الحق » .

فهل ترى أن الصحافة ملتزمة فعلاً بهذا الميثاق ؟

لعلك تذكر القضية الشهيرة التى أطلقت عليها الصحافة اسم « قضية عصابة شيراتون » ، والتى اتهمت فيها الرقابة الإدارية المدير المالى للفندق ، ومندوب بنك مصر ومدير صالة اللعب ، ونائبه ، ومراقب الصالة ، بتهم رهيبة . . منها الرشوة والاختلاس والتهرب من الضرائب والاضرار العمد بالاقتصاد الوطنى .

لقد استغرق نظر هذه القضية أكثر من سنة ، وخلالها نشرت الصحافة قصصا مثيرة عن المتهمين وسهراتهم الماجنة ، وعلاقاتهم المريبة ، وثرائهم غير المشروع ، وممتلكاتهم التى لا تحصى . وعن فلان الذى يمتلك عمارات وسيارات وعلان الذى انفق مائة ألف جنيه فى ليلة واحدة فى شارع الهرم . وهذا بالطبع استهزاء بعقولنا ، لأننى لا أتصور أن ينفق مواطن أيا كان ثراؤه مثل هذا المبلغ فى ليلة واحدة .

نشرت الصحافة هذا كله والقضاء لم يقل كلمته . وحرمت المتهمين من صفتهم القانونية كأبرياء إلى أن تثبت إدانتهم .

وقد كنت فيما مضى أقرأ أمثال هذه القصص بشغف ، وأنفعل بها ، ولكنى هذه المرة قرأتها بفجيعة وقرف ، فأنا ـ كما تعلم ـ أعمل فى شيراتون ، وهؤلاء زملاء لى ، أعرفهم . وبحكم الزمالة عاصرت مصيبتهم ، وألممت بأطراف القضية ، وتابعت إجراءات سيرها وبحكم الزمالة شاهدت ما عانته أسر هؤلاء الأبرياء ، وأطفالهم ، من مهانة وعذاب ، ورأيت كيف اضطر بعض الأطفال إلى الانقطاع من المدرسة ستة أشهر ، بسبب مايلاقون فى المدرسة من إهانات زملائهم . والصحافة كل يوم تغذى هذه الإهانات بمادة جديدة .

وأخيراً صدر الحكم ببراءة الجميع .

وقد كنت حاضراً لحظة الحكم بالبراءة . ولم أتحمل منظر الانهيار العصبي الذى أصاب بعض المتهمين ، فقد انفجر الظلم المكبوت الذى عانوه هم وعائلاتهم طول هذا الوقت . . وتحول إلى تشنجات ودموع .

ووجدت نفسى أغادر المحكمة وفى صدرى غيظ شديد ، وكراهية لا حدود لها ـ مع الأسف ـ للصحافة . رغم علمى أنك من رجالها .

صحيح أنك لا تحب الظلم . وهذا شىء أعرفه . لكن هذه التجربة مع مهنتك علمتنى درساً بليغاً : هو أنها مهنة ليست دائماً أمينة . وأن القارىء الواعى لا يجب أن يثق دائماً بما تنشره .

وأعتقد أن كثيرين غيرى عاصروا تجارب مماثلة ، وكانوا فى حالة يسمح لهم بمعرفة الحقيقة ، والمقارنة بينها وبين ما نشرت الصحف . وأنهم خرجوا من تجاربهم بنفس الدرس .

وأعتقد أيضاً أن الصحافة هى التى ستدفع الثمن فى النهاية . . عندما لا يعود أحد أن يثق بها . ويزداد كل يوم عدد الذين يصفون أخبارها وموضوعاتها بأنها « كلام جرائد » .

وأنا أكتب هذا الآن لأننى قرأت لك فى الأسبوع الماضى ، تحت عنوان « فيلم القاضى وفيلم الأفوكاتو » . ووجدتك تبحث عن بطل من المشرعين يصحح التشريع المصرى الخاص بالأعمال الفنية . وأحسست أن الأولى هو أن تبحث عن بطل يصحح أخلاقيات مهنتك ، ويحفظ لها ثقة القارىء بها .

أرجو ألا تزعجك صراحتى ، أو لهجتى الحادة . فأنا أكتب

إليك الآن بصفتى قارئا ، وأرجو أن تعاملنى معاملة قارىء تناقشه . لا معاملة ابن تنهره !

التوقيع : « ابنك . . شريف حافظ » .

□ اسمع ياولد □

واضح أننى ـ من كثرة ما شغلتنى الصحافة ـ لم أحسن تربيتك ! و« تربيتك » هنا ليس مقصوداً بها تأديبك . وإنما أقصد بها : تنويرك .

فقد كان يجب أن أنبهك من زمان ، وأحصنك ، ضد الوباء الشائع هذه الأيام . وباء تعليق آثام الخلق جميعا على شماعة الصحافة .

بينى وبينك ، وبين كافة المرضى بهذا الوباء ، سؤال واحد ، حاسم : هل اختلقت الصحافة سطرا واحدا مما كرهتم ، أم أنها نقلته عن مصادره المعتمدة ؟

عندما سحقت إسرائيل جيشنا عام ١٩٦٧ ، صرخ الرأى العام يتهم الصحافة بالتضليل ، لأنها قالت له إننا نملك أكبر قوة ضاربة فى الشرق الأوسط . ونسى الرأى العام أن هذا الوصف لم يكن من اختراعها ، وإنما كان نقلا عن تصريحات رسمية ، صادرة عن القيادة المسئولة لهذا الجيش نفسه .

وعندما تعلن الصحف ، بين وقت وآخر ، أن السلع التموينية متوفرة فى الأسواق . . فان الرأى العام عندما يفتقد هذه السلع يتهم الصحافة . وينسى أنها كانت مجرد ناقل عن وزير التموين .

وها أنت الآن يصيبك نفس المرض . فتتهم الصحافة

بالتشنيع والتشهير بمتهمى (شيراتون) . وتنسى أنها لم تنقل إلا عن رجال (الرقابة الادارية) . . التى هى مصدر رسمى ومسئول .

إن الصحافة ياولدى لاتصنع الأخبار ، وأنما تنقلها .

وعندما يكون النقل عن المصادر الأصلية المسئولة عما تقول ، فإن صدق الخبر أو كذبه لايكون مسئوليتها . . وإنما مسئولية المصدر . والمرض ليس فى الصحافة ، وإنما فى المصادر .

وفى كثير من بلاد العالم المتقدم لايجرؤ مصدر مسئول على التصريح بما ليس حقيقة ثابتة ، ولا يسمح لنفسه بأن يبالغ أو يدعى ما ليس واثقا منه .

وليس ذنب الصحافة المصرية أنها فى مجتمع لم ينجح بعد فى إلزام مسئولية بهذا السلوك . . إلى حد أن كلمة (تصريح) أصبحت مادة ثابتة فى فكاهات كاتبنا الساخر الشهير أحمد رجب .

والذى يحتاج العلاج إذن ليس الصحافة . وإنما النظم والأجهزة والأوضاع واللوائح والعادات التى تسمح بالافتراء والفشر والمبالغة والكذب وتلوين الحقائق والاعتداء عليها .

ولأن هذه المهمة صعبة ، ومحفوفة بالأخطار ، فإن الكسالى الذين انضممت إليهم أخيرا قد تخلوا عنها . . وفضلوا أن يعلقوا الذنب كله على شماعة الصحافة .

وميزة الصحافة ، من وجهة نظركم ، أنها تقبل الشتائم بصدر رحب . لاتحبسكم كالحكومة . ولا تقاضيكم كالمحامين ، حالة أسية . . ينكر المصدر المسئول تصريحاته فتسامحه ، ويضللها صاحب الشكوى فتسامحه ، ويلومها

القارىء على أكاذيب تورطت فى نقلها فتقبل اللوم صامتة كالمسيح الشهيد .

وقد كنت صغيرا ، ياولدى ، عندما بدأت فى مصر ظاهرة إدانة المتهمين على صفحات الصحف قبل إدانتهم أمام منصة القضاء ولم تكن الصحافة مسئولة عن هذه الظاهرة وإنما كان المسئول الثورة !

فأهم المحاكمات منذ اندلاع الثورة كانت سياسية . وكان الهدف منها إدانة العهد السابق عليها ، وإدانة رجاله وقادته . وكان جهاز الثورة هو الذى يتهم ، وهو الذى يحكم ، وكان يهمه أن تساند الصحف هذه المهمة السياسية الثورية ، وأن يجندها لإقناع الرأى العالم بأن الذين يحاكمهم مجرمون بالفعل .

وفى اعتقادى أن معظم الثورات فى العالم فعلت نفس الشىء . وجندت الصحافة أيضا .

وسواء كان هذا صوابا أو خطأ ، فإن النتيجة واحدة وهى : أن الصحافة التى كانت مهمتها نشر الحقائق أصبحت مهمتها نشر مايدين الأعداء .

وعندما تمردت بعض الصحف على أداء هذه المهمة أغلقت . وعندما تمرد بعض الصحفيين سجنوا . ولم يعترض الرأى العام . ولم يثر لتحرير الصحف من عملية التجنيد ، وتركها تنشر الحقائق الثابتة وحدها .

والآن بعد أن صار التشهير بالمتهمين عادة ، يعود نفس الرأى العام يلوم الصحف عليها . . ويعفى نفسه من المسئولية !

□ ياولدى .. □

ليست الصحافة من كوكب آخر أو من مجتمع آخر غير مجتمعك . ولن تجد صحافة مقيدة فى مجتمع حر ، أو صحافة حرة فى مجتمع مقيد .

صحافة كل مجتمع صورة له ، لأنها من صنعه .

وماتنكره صحافتنا يجب أن ننكره أولا على مجتمعنا . ويجب أن تتصدى لإصلاحه فى المجتمع نفسه .. فى نظمه ، وعاداته ، ومنطقه ، وأجهزته ، وسلطاته .

لكن حصان المجتمع جموح ، وأنت من باب الكسل تفضل أن تجلس على بردعة الصحافة وتهز رجليك .. أنت والكسالى من أمثالك .

وقد آن أن تواجه الصحافة ناقديها جميعا بالحقيقة التى لم تعلنهم بها ، من باب الذوق ، حتى الآن .

كيفما تكونوا ، تكون صحافتكم ، وإذا أردت - يا أيها المجتمع المصرى - أن ترى المذنب الحقيقى فى كل مانشكو منه على صفحات الصحف .. فانظر فى المرآة !

أما أنت ياولدى ، فلن أنهرك . وإن كانت مهمة الآباء الأولى هى أن ينهروا أولادهم .

سأكتفى بأن أقول لك ماقال يوليوس قيصر عندما طعنه بروتس :

- حتى أنت يا .. ولدى !

الجمهورية
١٩ ابريل ١٩٨٤

□ من موسى صبرى إلى صلاح حافظ :

تذكر .. ولا تتنكر !!

● أشهد أن اتهامك لى باغتيال السادات كان رشيق العبارة والأسلوب !

● أنصفتنى من حيث العلاقة بالحاكم عند المقارنة بينى وبين هيكل والعياذ بالله !

● ضج السادات من دفاعى عنك وقال : أنا عارف إن صلاح حافظ وطنى

فى حوار بين الزميل رشاد كامل ، وصديقى «الحميم جداً» الأستاذ صلاح حافظ . امتدحنى الصديق «الحميم جداً» .. ووضع على راسى هالات فخار عديدة اعتقد مخلصا اننى لا استحقها .. لانى اؤمن ان عملى هو واجبى .. وواجبى هو ان اقول كلمة الحقيقة او ما اعتقد انه الحقيقة .

وعندما امتد هذا الحوار الممتع ، إلى النقد . . انتهى المطاف بصلاح حافظ إلى اتهام «رقيق جداً» لى . . وهو أننى دفعت بالزعيم الراحل أنور السادات . . إلى أن تصيبه رصاصة الاغتيال !

نعم . . ما أرق هذا الاتهام !

ولعلى ألتمس لصلاح حافظ العذر . . لأن الحوار جرى حتى مطلع الفجر كما جاء فى سطوره . . ولا أتصور كلاما يجرى فى مثل هذه الساعات «المبكرة» إلا منتهيا إلى مثل ما انتهى إليه صلاح حافظ . . بل أحمد الله ، أنه لم يصل إلى أننى أنا الذى أمسكت بالمدفع وأنا الذى أطلقت الرصاص على صدر السادات !

وإذا كانت «صباح الخير» قد أعلنت أن الحوار على لسان صلاح حافظ متصل إلى الأسبوع المقبل . . فأرجو أن يجرى الحوار قبل منتصف الليل . . فإننى لا أقوى على مواجهة الاتهام بأكثر من جريمة اغتيال واحدة !

●●●

إن خلاصة كلمات صلاح حافظ هى أننى أحببت السادات حبا أعمى وأننى من منبع هذا الحب كنت أمتدح كل قراراته . . ومن ثم فإن السادات وهو يثق بى كان يزداد اقتناعا بأن قراراته الخاطئة هى قرارات صحيحة مائة فى المائة . . وأننى أكدت له فيما كتبت أن الشعب معه ومحيط به . . فى حين أن الشعب كان فى خصومة مع السادات . . واستدل صلاح حافظ على ذلك بأننى وصفت قرارات سبتمبر بالاعتقالات بأنها ثورة أخرى . . فى حين أن الشعب كله كان ضد هذه القرارات .

وهنا يحق لى أن أقول إن صلاح حافظ تعمد أن يفقد ذاكرته قليلاً أو كثيراً لكى يصل إلى هذه النتيجة . . أو لعله يتعمد والكلام يجرى على لسانه عند مطلع الفجر .

إن شعبية أنور السادات . . وتأييد الملايين له والتفاف الأمة حوله . . هى حقائق لا تقبل الجدل . ظهر ذلك فى ثورة مايو التى يعترف صلاح حافظ أنها قضت على مراكز القوى وبنت الكيان الديمقراطى . . ظهر ذلك بعد عودة السادات من رحلة السلام التى فجرت مشاعر أكثر من ٥ ملايين مواطن فى القاهرة أحاطوا بالسادات . . بنبض قلوبهم . . وغير ذلك من المناسبات . . ولكننى أعود إلى شعبية السادات بعد قرارات سبتمبر .

●●●

لعل صلاح حافظ - يتذكر ولا يتنكر - رحلة السادات إلى المنصورة بعد قرارات سبتمبر .

لقد سافر السادات من القاهرة إلى المنصورة فى قطار مفتوح . . ووقف القطار على جميع المحطات . . وهدأ سيره أمام كل قرية . . وكانت جموع الشعب المتزاحمة بالملايين على طول الطريق . . وطوال أربع ساعات ، تعبر عن مشاعرها بما يعجز قلم عن وصفه . . ثم وصل إلى المنصورة . . وطاف شوارعها وميادينها فى سيارة مكشوفة ومئات الألوف تعلن تأييدها له أروع استقبال شهده زعيم مصرى فى تاريخنا المعاصر . . والشريط التليفزيونى الذى سجل كل ذلك لايزال موجودا بإدارة التليفزيون المصرى . . ويمكن لصلاح حافظ - أن يتذكر ولا يتنكر - ويستعيد هذه الرؤى إذا طلب ذلك من السيدة سامية صادق .

وبعد قرارات سبتمبر زار أنور السادات موقعا زراعيا للأرض المستصلحة . . كما افتتح مدينة سكنية جديدة هى مدينة السلام . . وفى كل ذلك ، كان . . الزعيم بين الملايين من أبناء الشعب .

وبعد قرارات سبتمبر أيضاً توجه السادات بسيارة صغيرة إلى المدرسة الألمانية بالدقى يحمل حفيده على صدره . . وقدم له طلب التحاق بالمدرسة . . ورأته الجماهير وتجمعت حوله بالآلاف .

●●●

فإذا كانت هناك فئات ماركسية أو معارضة . . لها رأى مضاد . . فهذا حقها . . ولكنها قلة موجودة فى كل مجتمع . .

وتصفية حساباتها مع السادات لا تبيح لها الحق فى أن تنكر شعبية الرجل ، وقمة زعامته . . السادات الذى حرر الأرض بقرار الحرب . . وحرر النفوس من الخوف بقرار السلام .

وعندما كتبت عن قرارات سبتمبر فى حياة السادات وبعد أن فقدناه فإننى كتبت رأى صحفى ، يجرى دائما وراء الأحداث ويجتهد دائما أن يعرف خلفية هذه الأحداث . . وأن يملأ جعبته بكل الأخبار الصحيحة التى يعتمد عليها فى الإدلاء برأيه .

وما أزال أقول إن هذه القرارات . . كانت ضرورة قومية من أجل أن تبقى مصر . . من أجل أن تحمى مصر من مذابح دموية رهيبة يعلم الله إلى أى مدى كان يمكن أن تنتهى إليه . . ومع حماية مصر من الدم . . كانت أيضاً حماية ، تنفيذ الانسحاب الإسرائيلى الكامل من سيناء المحتلة . . فقد كانت هناك قوى ، عديدة متعاونة بكل أسف مع قوى خارجية لا هم لها إلا أن تعوق هذا الانسحاب أو تفشله .

ماذا كان عليه الموقف الداخلى حينئذ ؟

فتنة طائفية كريهة وصلت إلى الشارع . . وسالت فيها الدماء .

أحداث عديدة لهذه الفتنة الطائفية وقعت فى عديد من المدن الصغيرة والقرى وسالت فيها الدماء أيضاً ولم يعلن عنها .

معارضة قصيرة النظر مشبوهة الأهداف كانت تحج إلى دمشق وإلى ليبيا . . وتقدم نياشين السلام إلى رئيس سوريا . . الذى قتل الآلاف ، وأباد مدنا بأهلها . . داخل بلده .

معارضة طائشة رعناء . . نافقت الاتجاهات المتطرفة

الإرهابية وحولت دور العبادة إلى مواقع سياسية للخطابة المثيرة والتحريض المهيج .

وأمامنا فى كل ذلك إسرائيل التى كانت تتمنى وتحلم بفرصة تمزق داخلى يبيح لها أن تتحلل من التزاماتها وتبقى على الأرض المحتلة .

دول عربية ، وضعت كل نشاطها فى أن تحاصر مصر اقتصاديا وسياسيا ونسيت قضية الوطن العربى . . وأصبح الهدف هو السادات الذى حقق نصر الحرب ونصر السلام .

بل وصل الأمر إلى أن أحد قادة المعارضة يصرح بأنهم سيرتكبون من الأعمال المثيرة ما يجبر السادات على اعتقالهم جميعا . . كان هذا هو المخطط والهدف .

كان لا مفر أمام السادات إلا أن يتخذ إجراءات استثنائية تفرضها هذه الضرورات . . لكى يحمى البلاد من مذابح الدم فى الفتنة الطائفية . . ويحمى تحرير الأرض أمام خصم مراوغ .

●●●

واتخذ الرجل قرارات سبتمبر .

ولم يفاجىء بها أحدا . . فهو أول حاكم مصرى لجأ إلى الاجتماعات العامة الموسعة والضيقة مع كل فئات الشعب . . وأجرى مناقشات ديمقراطية حرة كانت تذاع على شاشة التليفزيون . . ولعل صلاح حافظ يتذكر ولا يتنكر ـ أن السادات هو أول رئيس دولة فى تاريخ مصر الحديث عقد عشرات الاجتماعات مع رجال الصحافة والإعلام ، لكى يوضح سياسته ولكى يستمع ، ولكى يناقش . . وأحسب أن صلاح حافظ حضر معظم هذه الاجتماعات وبدعوة من السادات .

نعم . . اتخذ السادات قرارات استثنائية . . ولكن الحكم على هذه القرارات لا يكون مجردا بل يجب أن يرتبط بكل الظروف الموضوعية التي أحاطت بها . . ولم يكن سراً أن السادات كان ينوي الافراج عن المعتقلين بعد أن يتم الانسحاب الكامل في ٢٤ ابريل .

وفي كل الدول الديمقراطية . . اتخذت مثل هذه القرارات .

حدث ذلك في الهند . . وصاحبة القرارات هي أنديرا غاندي ابنة السجون والديمقراطية في بلد يلتزم فعلا بنظام المؤسسات الدستورية كما يجب أن تكون .

صحيح أن تنفيذ القرارات حدثت به بعض التجاوزات . . مثل اعتقال سياسيين ليست لهم أهمية مؤثرة في الأحداث . . أو كانوا مرضى وفي سن متأخرة . . ومثل اعتقال صحفيين وجودهم خارج المعتقل مثل وجودهم دائما داخل المعتقل .

هذا نقد يمكن أن يوجه إلى هذه القرارات . . وكان يمكن تداركه وإصلاحه . . ولكن وصف هذه القرارات بأنها عداء للشعب المصري كله . . أو القول بأن السادات فقد تأييد الملايين فإنها كلمات لا يمكن أن يقولها صحفي نابه مثل صلاح حافظ أرهقه الأرق وتحدث عند مطلع الفجر . . فإذا به يتنكر حيث شاء أن يتذكر !

●●●

بقيت كلمة ..

أشكر لصديقي الماركسي الوطني صلاح حافظ . . أنه وضعني في موضعي الصحيح من السادات فلم أكن شريك حكم . أو

شريك قرار أو رجل دولة . . بل احتفظت بوضعي الطبيعي وهو أنني صحفي وكاتب فقط . . ولم أتجاوز هذه الحدود اعتمادا على علاقتي الوثيقة بالزعيم الراحل أنور السادات .

ولكن إذا شاء صلاح حافظ ـ أن يتذكر دون أن يتنكر ـ فلعله يقول ـ إذا جرى القول على لسانه في وقت مبكر ـ أنني لم أكن أخفي رأيي في الحوار مع الرئيس السادات في الاجتماعات العامة .

لعل صلاح حافظ يتذكر الاجتماع الذي دعا إليه الرئيس السادات أكثر من أربعين صحفيا في استراحة القناطر وأعلن فيه اختياره للأستاذ إبراهيم نافع رئيسا لتحرير الأهرام ، والأستاذ إبراهيم سعدة رئيساً لتحرير أخبار اليوم . . والأستاذ عبد العزيز خميس رئيسا لتحرير روز اليوسف .

لعل صلاح حافظ يتذكر الحوار الذي جرى بينه وبين السادات . . وعلى أثره عدل السادات عن اختياره رئيسا لتحرير روز اليوسف . . لعل صلاح حافظ يتذكر تدخلي في الحوار أكثر من ثلاث مرات مؤيدا وجهة نظر صلاح حافظ . . حتى ضج السادات مني وقال لي مستنكرا هوه انت هتعرفني من هو صلاح حافظ . . أنا عارف أنه وطني .

ولا أريد أن أطيل فيما جرى في هذه الجلسة . . ولا أريد أيضاً أن أسجل مواقف أخرى عديدة كنت فيها مؤيدا للسادات ولم أكن تابعا أو مزورا أو مخفيا للحقائق . . فقط لأنني أحبه حبا أعمى .

بقيت لك ياصلاح في رقبتي أكثر من شهادة .

● أشهد أن اتهامك لي باغتيال السادات ، كان رشيق العبارة ، رقيق الأسلوب ، حلو المذاق . . بكل ما في العسل من سموم .

● وأشهد . . أنك أنصفتني في المقارنة ـ من حيث العلاقة بالحاكم بيني وبين محمد حسنين هيكل والعياذ بالله .

● وأشهد . . أنك كنت صادقا ، عندما سجلت أنك كنت تتثاءب ، وأنت تجرى حوار الاتهام . . وأنك كنت تحتاج من حين إلى حين إلى كوب الشاى الفيومى كما ذكرت . . ولذلك فإنك عندما تنبهت ، وملكت حواسك . . أسقطت عنى الاتهام بالاغتيال . . وقلت بالحرف الواحد ناسيا تماما ما قلته فى فقرات سابقة . . قلت ما نصه :

« ببساطة قتل السادات هذه الجمعيات المتطرفة الحمقاء والخطيرة جداً على مصر وعلى مستقبلها . . وهى عندما قتلته لم يكن بسبب كامب دافيد أو سياسة البلد أو أمريكا أو روسيا . . ولكنها قتلته بسبب ثأر شخصى لا أكثر ولا أقل » .

●●

وأخيراً ـ لا آخر ـ فإننى أرجو لحوار صلاح حافظ أن يتصل . . كما أعلنت «صباح الخير» . . وأرجو للصديق «الحميم جداً» . . أن يتذكر . . لأن الذكرى تنفع المؤمنين . . وألا يتنكر لأن النكران هو شيمة الجاحدين . . ولا أريد لصلاح أن يتأرجح بين الإيمان ، والجحود . . ولا أريد له أن يكون شريكا . . فى هذا الاغتيال الثانى للسادات .

موسى صبرى

محتويات الكتاب

مقدمة : ص

صلاح حافظ الرجل والكتاب ! ٣

الحوار الأول :

● للسادات قتلة آخرون ! ١٥

الحوار الثاني :

● الصحافة.السلطان . . الغضب ٣٥

الحوار الثالث :

● يوليو وصراع الثقة والخبرة ! ٥٧

الحوار الرابع :

● الوفد وخصومة يوليو ! ٧٩

الحوار الخامس :

● محاكمة عبد الناصر ظاهرة صحية ! ٩٩

الحوار السادس :

● فى حضور عبد الناصر كنا قراء ! ١٢٣

الحوار الأخير :

● الصحافة عمرى ١٤٧

ملحق وثائقى :

● روز اليوسف وأنا ! ١٧٤

● الصحافة المفترى عليها ! ١٨٣

● من موسى صبرى إلى صلاح حافظ :

● تذكر ولا تتنكر ! ١٩١



● الكاتب والكتاب :

الكاتب الكبير « صلاح حافظ » واحد من ألمع وأنبغ تلاميذ مدرسة روز اليوسف الصحفية .

« الصحافة السلطان الغضب » هو الاسم الذى اختاره الكاتب الصحفى الشاب « رشاد كامل » ليكون عنوان كتاب ذكريات الصحفى الكبير « صلاح حافظ » ولتاتى صفحات الكتاب حافلة بعشرات الأسرار السياسية مع وعن :

عبد الناصر .. السادات .. مبارك .. هيكل .. احمد بهاء الدين .. موسى صبرى .. مصطفى امين .. إحسان عبد القدوس .. خالد محيى الدين ..

الشرقاوى .. فتحى غانم .. يوسف إدريس .. احمد ابو الفتح .. جيهان السادات .. عبد الستار الطويلة .. معمر القذافى . إسماعيل فهمى ..

للقارىء الذكى يجىء كتاب « رشاد كامل » الجديد « الصحافة .. السلطان .. الغضب » . كتاب ستقرؤه مرة ومرات .

« الناشر »

مطابع روز اليوسف الجديدة